تنظيمات الزعر والحرامية في دمشق في عصر المماليك الجراكسة (784-923هـ/1382-1517م) من خلال كتابي: مفاكهة الخلان، وإعلام الورى، لابن طولون الدمشقي

آمنة محمود عودة الذيابات

أستاذ مساعد، شعبة التاريخ، قسم العلوم الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة حائل، السعودية

الملخص

اختصت هذه الدراسة في إلقاء الضوء على بعض التنظيمات الاجتماعية التي ظهرت في دمشق في عصر دولة المماليك الشراكسة (784–923هـ/ 1382–1517م)، المتمثلة في تنظيمي: الزعر والحرامية، كما جاءت في مصادر المؤرخ ابن طولون الدمشقي (ت 953هـ/ 1546م)، وقد جاءت الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول: التعريف بشخصية المؤلف وحياته وإنجازاته العلمية، وإعطاء نبذة عن كتابيه؛ الأول: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان بقسميه، وكتابه الثاني: إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى. وفي المبحث الثاني تم دراسة الجذور التاريخية لحركة التنظيمات الاجتماعية التي ظهرت في المجتمع الإسلامي حتى العصر المملوكي: مثل الشطار والعيارين والأحداث والفتوة، أما المبحث الثالث فاختص بدراسة التنظيمات الاجتماعية في مصادر ابن طولون، ومن خلاله تم توضيح مخطط مدينة دمشق والمؤسسات الموجودة فيها، والفئات السكانية في دمشق، ثم التنظيمات الاجتماعية التي ظهرت بشكل كبير في مدينة دمشق وهم: الزعر والحرامية، الواردة في كتابي ابن طولون، ثم توضيح طبيعة هذه التنظيمات، وأسباب ظهورها، وعلاقتها بالسلطات المملوكية والإجراءات التي اتخذتها السلطات في التعامل معها. ثم أنهيت الدراسة بالنتائج التي توصل إليها، ثم قائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

مقدمة

عرف بعض الباحثين التاريخ الاجتماعي بأنه "دراسة تطور العلاقات والنظم ومضمون المفاهيم والقيم الاجتماعية في مجتمع ما، وفي فترة اجتماعية محددة"، والتاريخ بأنواعه: السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي يتداخل بعضه في بعض بشكل قوي لا يمكن تمييزه؛ لأن في التاريخ أحداثاً اجتماعية، لها نتائجها السياسية والاقتصادية والثقافية، كما أن الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية لها انعكاساتها على الحياة الاجتماعية، وقد تأثرت دمشق سابقاً بمثل هذه الأحداث؛ مما تمخض عنه ظهور بعض التنظيمات الاجتماعية، من مثل: منظمة الأحداث التي ظهرت في الدولة العباسية واتخذت العراق مركزاً لها، ثم امتدت إلى بلاد الشام[1].

وفي العصر المملوكي ظهرت تنظيمات اجتماعية أخرى من العامة عبرت عن نفسها على شكل تنظيمات وأصناف، أو من خلال نشاطات يومية وموسمية قامت بها وبما تقتضيه حاجتها، وقد أفرز ذلك تنظيمات اجتماعية ظهرت في دمشق، أطلق عليها اسم "الزعر" و"الحرامية"، متجاهلة السلطات المملوكية التي همشتها إلا بما تقتضي مصلحتها، وكذلك تنظيم "الحرافيش"، وهم العاطلون عن العمل والمرتبطون بزوايا الطرق الصوفية، الذين ظهروا في مصر، وكان لهم بعض النشاطات في دمشق.

ومن خلال هذه الدراسة سنتعرف هذه التنظيمات، وعلاقتها بالسلطة المملوكية، وآلية تعامل السلطة معها. كل ذلك سيتم الإجابة عنه من خلال هذه الدراسة التي جاءت في ثلاثة مباحث، الأول منها: يتناول **تعريف بشخصية محمد بن طولون الدمشقي حياته ومؤلفاته**، والمبحث الثاني: يدرس **جذور تاريخ حركة التنظيمات الاجتماعية في المجتمع الإسلامي**، ويهتم المبحث الثالث **بدراسة التنظيمات الاجتماعية في دمشق**، وفق رؤية المؤرخ ابن طولون الدمشقي في كتابه: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، والكتاب الآخر: إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى. أما المنهج العلمي في البحث فهو الاستقصاء والتحليل للنصوص الواردة في هذا المضمار في بعض

مؤلفات المؤرخ ابن طولون الدمشقي. وقد اعتمدت على عدة مصادر ومراجع تاريخية للمؤرخ ابن طولون ولمؤرخين ومختصين آخرين ودراسات أوردتها جميعاً في قائمة المراجع.

المبحث الأول - ابن طولون حياته ومؤلفاته

هو شمس الدين محمد بن علي بن أحمد بن خمارويه بن طولون الصالحي الدمشقي الحنفي، المكنى بأبي الفضل، ولد سنة 880هـ / 1475م في منزله في حكر الحجاج (حكر بني القلانسي) في الصالحية من أحياء دمشق، وكانت وفاته سنة 953هـ / 1546م[2]. والدة ابن طولون هي "ازدان" الرومية الأصل، توفيت بالطاعون، وهو صغير لم يمش، ثم عاش في كنف والده، وعني بتربيته عمه القاضي جمال الدين يوسف بن طولون[3]، الذي أرشده إلى الاشتغال بالعلم؛ مما جعله يصل إلى درجة عالية فيه[4]. ختم ابن طولون القرآن وهو في السابعة من العمر، ثم قرأ على كبار العلماء في عصره التجويد والقراءات والفقه الحنفي وأصول الفقه والحديث وأصول الحديث، والتاريخ والتفسير وعلوم القرآن والفرائض، والنحو وأصول النحو والتصريف والعروض والقوافي والمعاني والبيان والبديع وعلم الكلام والمنطق، واللغة، والطب والهندسة والحساب والتصوف والعلم الإلهي[5]. والفلك وعلم الميقات وعلم البنكامات[6]، وعلم الطبيعة، وبذلك أتيح له أن يلم بمختلف وجوه الثقافة الإسلامية وتنوعها، وساعده ذلك على إنتاج تآليف كثيرة كماً ونوعاً، ومن أشهر شيوخ ابن طولون: القاضي ناصر الدين أبو البقا بن زريق، والخطيب سراج الدين الصيرفي، وجمال الدين يوسف بن عبد الهادي المعروف بابن المبرد (ت909هـ/ 1503م)[7]، ومحيي الدين عبد القادر النعيمي (ت827هـ/ 1521م)، وأجازه عدد من العلماء، منهم السيوطي[8]، وقد راوحت علومه بين 38 و 72 علماً، تدور حول الحوادث والتراجم وتاريخ المدن، والعلوم الشرعية، ويقول إنه حضر إلى مخيم السلطان قانصوه الغوري الذي وصل إلى دمشق، وقرأ عليه المسلسل بالأولية وثلاثينات البخاري، وقرأ على قضاة المذاهب الأربعة الحديث[9].

كان ابن طولون ماهراً في النحو وعلامة في الفقه، مشهوراً بالحديث، قضى وقته بالتدريس والإفادة والتأليف، تقلد الوظيفة وهو صغير السن، واستمر بها حتى وفاته سنة 953هـ/ 1546م وجميعها تندرج وفق وظائف المعهد الإسلامي التي كانت سائدة في عصر المؤلف، وتصنف - كما تولاها - في ثلاث فئات، هي: فئة الوظائف العلمية مثل: تلقين القرآن، ومشيخة الإقراء والإعادة[10]، والإفتاء والتدريس وتفرقة الربعات[11]، والفقاهة[12]، ومشيخة الخانقاه أو مشيخة الزوايا[13] ثم فئة الوظائف العملية، من مثل: الخطابة والإمامة وقراءة القرآن، والنظر على خزائن الكتب، وأخيراً فئة الوظائف الإدارية، منها: الشهادة[14]، وكتابة الغيبة[15]، والنظر[16]، ونيابة النظر[17] والمشارفة[18]، وامتنع عن بعض الوظائف مثل: خطيب الجامع الأموي، ومفتي الحنفية بدمشق، والتدريس في مدرستي: القصاعين[19]، والظاهرية الجوانية سنة 950 هـ/ 1534م[20].

امتاز ابن طولون بغزارة تأليفه، وقد راوحت مؤلفاته بين 746 [21] و753 [22] مؤلفاً ما بين عدة أوراق ومجلدات. أوردها في كتابه الفلك المشحون في أحوال ابن طولون؛ حيث وضع هذا الكتاب بوصفها ترجمة ذاتية له، وقد فقدت بعض هذه الكتب في الفتنة الغزالية[23] في أثناء دخول العثمانيين دمشق، وأورد ذلك في حوادث يوميات دمشق من كتابه "مفاكهة الخلان"؛ حيث قال: "إنه أُخرج من بيته، ورميت كتبه، ولم يوقروا أحداً لا صغيراً ولا كبيراً". وقد أشار المؤلف في كتابه الفلك المشحون إلى أسماء كتبه المفقودة في الفتنة الغزالية وعددها تسعة كتب هي: بيان غريب لغات الهداية[24]، وتصحيح الهداية[25]، وتبيين ما في الهداية من الأسماء وتراجمهم[26]، وكتاب شرح ممزوج على مغني اللبيب لابن هشام[27]، وكتب شرح ممزوج على النونية لطيبغا البكماشي في علم الرماية[28]، وشرح خطبة الهداية[29]، وفهرست المرويات الأكبر، وفهرست المرويات الأصغر وفُقدا في الفتنة الغزالية[30]، وكتاب تحذير الموحدين من كلام الملحدين[31] وآخرها كتاب مسالك التلطف إلى علم التصوف[32].

أما مؤلفاته فكثيرة جدّاً ومتنوعة العلوم والمعارف، تحتفظ بمعظمها مكتبة تيمور باشا المسماة المكتبة التيمورية بالقاهرة، طبع منها ما يصل إلى أربعين

كتاباً[33]، أما مؤلفاته التاريخية فقد بلغت ستين مؤلفاً، وهي: الاختيارات المرضية في أخبار التقيّ بن تيمية، أرج النسيم في ترجمة سيدي تميم، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، وإظهار المكنى من ترجمة الشيخ تقي الدين الحصني، وبتر المطالب في ذكر المختلف في نسبتهم إلى المذاهب، وتبييض القراطيس فيمن دفن بباب الفراديس، والتاج الثمين في أسماء المدلّسين، والتتمّة فيمن نسب إلى أمّه، وتحفة الكرام في ترجمة سيدي أبي بكر بن قوام، والتبيان المحرّر فيمن له اسمان وكنيتان فأكثر، والتيجان المزخرفة في معالم مكّة المشرفة، والتمتّع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران[34]، وتبيين ما في الهداية من الأسماء وتراجمهم، والثغر البسّام في ذكر من ولي قضاء الشام واسمه (قضاة دمشق)، وجزء فيه ذكر دور الحديث في دمشق، والحرابة في أسماء المختلف فيهم من الصحابة، وحور العيون في تاريخ أحمد بن طولون، والدرّة النفيسة في ترجمة الست نفيسة، والذيل على تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنوّاب، والذيل على طبقات الحنفية لعبد القادر القرشي، في ثلاثة مجلّدات. وراية النصر في ترجمة سيدي نصر، والرفعة لتراجم بني منعة، والزهر البسّام فيمن سمّاه النبيّ، عليه السلام، وسلك الجمان فيما وقع لي من تراجم ملوك بني عثمان، والسفينة في تراجم الفقهاء السبعة بالمدينة، والشمعة المضيئة في أخبار القلعة الدمشقية، الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وشرح إعلام الورى بمن ولي قضاء الشام، وشرح قصيدة الشيخ إبراهيم بن صارم الدين في غزو الإفرنج لمدينة بيروت، والعقود اللؤلؤية في الدولة الطولونية، وعقد النظام في ترجمة سلطان العلماء العز بن عبدالسلام، وعجب الدهر في تذييل من ملك مصر[35]، والعرف العنبري في ترجمة الزمخشري، والعون على ترجمة فرعون، وغاية البيان في ترجمة الشيخ رسلان، والفتح العزّي في معجم المجيزين لشيخنا أبي الفتح المزّي، والفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون، وقرة العيون في أخبار باب جيرون، والقلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، وقيد الشريد من أخبار يزيد، وقلائد

العقيان لخزانة السلطان سليمان، والكواكب الدراري في ترجمة سيدي تميم الداري[36]، واللمعات البرقية في النكت التاريخية، ويحتوي الكتاب الأخير على أربع وأربعين نصاً تاريخياً، وكذلك كتاب مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وكتاب المأمونية في الواقعة الطولونية، وملجأ الخائفين في ترجمة سيدي أبي الرجال، وسيدي جندل بمنين، والمقصد الجليل في كهف جبريل، والمعزّة فيما قيل في المزّة، ومحن الزمن بين قيس واليمن، والمحاسن اللطيفة في معاهد المدينة الشريفة، وملخص تنبيه الطالب وإرشاد الدارس، ومطلع السعد في ترجمة سيدي سعد، ونهاية العبر في نفوذ القضاء والقدر بمدرسة شيخ الإسلام أبي عمر، والنطق المنبي عن ترجمة الشيخي المحيوي بن العربي. هداية السالك إلى ترجمة ابن مالك، والهادي إلى ترجمة شيخنا الجمال بن عبدالهادي، وهطل الدمعة في أخبار السبعة، وهطل العين في مصرع الحسين، والهجاج من أخبار الحلاج[37].

ويلاحظ على مؤلفات ابن طولون، ما هو كتب ومؤلفات - أنها كبيرة تتجاوز المائة من الورقات، أو رسائل صغيرة تراوح بين الطول والقصر، يتألف بعضها من وريقات، ولكن هذا لا يقلل من قيمتها وأهميتها التاريخية والعلمية، وهذه المؤلفات تتنوع في موضوعاتها بين تراجم الرجال مثل: ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر، الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وإنباء الأمراء بأنباء الوزراء، والتمتّع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران، وتاريخ المدن والأماكن، من مثل: القلائد الجوهرية في أخبار الصالحية، وضرب الحوطة على جميع الغوطة، والمعزة فيما قيل في المزة، والشمعة المضيئة في أخبار القلعة الدمشقية، كما تتناول مؤلفاته: تاريخ الدول والحوادث وبخاصة تاريخ مدينة دمشق مثل كتابيه: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، وهذان الكتابان الأخيران لهما أهمية كبيرة لدراسة تأريخ دمشق سياسياً واجتماعياً خاصة في أواخر العهد المملوكي؛ ففيها تراجم كثيرة لعلمائها وقضاتها وأمرائها، وفيها سرد لحوادث جرت فيها، ووصف لأماكنها، وتسجيل للحياة الاجتماعية فيها؛ لأنّها الفترة التي عاش هو فيها، فقد صوّرها برؤيته أفضل تصوير[38].

وتناول في كتابه الأخير "إعلام الورى بمن ولي نائباً من دمشق الشام الكبرى" نواب دمشق من سنة 658هـ/ 1260م - وأولهم سنجر الحلبي - حتى سنة 923هـ / 1517م، ويتكون الكتاب من قسمين: يشمل الأول حوادث سنوات 658-863هـ/ 1260-1458م، أما القسم الثاني فيشمل حوادث سنوات 865-943هـ، واهتم المؤلف بالحياة الاجتماعية والتنظيمات الاجتماعية في دمشق ومنها الزعر والحرامية وإشارات قليلة إلى الحرافيش[39] وأما كتاب "مفاكهة الخلان في حوادث الزمان" فتكون من قسمين هما: القسم الأول من سنة 880هـ-926هـ/ 1445-1519م، والقسم الثاني من سنة 927-951هـ/ 1520-1542م، والأخير من الكتب المفقودة، إضافة إلى فقدان سنوات 880-884هـ/ 1475-1479م[40]. أما الكتاب الذي هو موضوع البحث فيشمل الأقسام التالية: القسم الأول من سنة 884-921هـ/ 1480-1515م والقسم الثاني من سنة 922-926هـ/ 1516-1520م[41].

وكتاب "مفاكهة الخلان" يصور الحياة العامة اليومية في دمشق؛ فيتحدث عن الحكام والقضاة والعلماء والتجار وأصحاب الأسواق، وإقامة الزينة للأمراء والحكام، والأسعار والنهب، السلب والتنظيمات الاجتماعية في دمشق كالزعر والحرامية والبلاصية وكذلك حرافيش مصر الذين كانوا يقومون بزيارات إلى دمشق؛ مما يعطي صورة شبه واضحة عن الحياة الاجتماعية في هذه المدينة، وموقف السلطات المملوكية الشركسية منها[42]، والكتاب وثيق الصلة بكتابه الآخر: "إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك دمشق الشام الكبرى"؛ لأن مؤلفهما واحد هو ابن طولون وموضوعهما متشابه هو مدينة دمشق. لذلك أحدهما مكمل للآخر[43]، فكانت ترد كثير من النصوص التي تكاد تكون متشابهة في كلا الكتابين.

المبحث الثاني - الجذور التاريخية لحركة التنظيمات الاجتماعية

ظهرت الفئات المهمشة في المجتمع نتيجة الصراع على الثروة أو على السلطة، أو كليهما، وفي ظل يأس هؤلاء المهمشين من تحسين أحوالهم. يعود

ظهور التنظيمات الاجتماعية إلى العصر العباسي الذي امتاز بالتفاوت الاجتماعي والاقتصادي؛ مما أدى إلى تمايز طبقي في الدولة العباسية. وقد تركزت هذه التنظيمات في بغداد خاصة بسبب تميز المجتمع البغدادي بشكل خاص وزيادة سكانه وتطور عمرانه ومظاهر الحياة فيه. ومن هذه الحركات الشطار والعيارون، وهم الفئة الفقيرة من طبقة العامة المحرومة؛ ففي بغداد كانت طبقة الخاصة قد بلغت درجة من الترف؛ حيث قصور الخلفاء والأمراء والولاة والقادة والتجار، وأصبحت بغداد - عاصمة الرشيد - ذات مكانة مرموقة في التجارة ومركزاً تجارياً وحضارياً عالمياً يتوافد لها التجار من كل اتجاه. ومن الطبيعي أن يكون هذا الازدهار الحضاري القائم على قوة الدولة ونشاطها التجاري والمالي في مجتمع طبقي متلازماً، مع ازدياد الفقر والحاجة في صفوف العامة، وفي مثل هذه الأحوال بدأت تنشأ في المدن تجمعات بشرية تعاني غلاء المعيشة ويمزقها الجهل والحاجة والتشرد، آملة في الحصول على حياة أفضل. لكنهم فشلوا في تحسين أحوالهم المعيشية، بل باتوا فئة مهمشة في المجتمع، فخرجت جماعات منهم تكتلت في تنظيمات عفوية عبرت عن رفضها للواقع السيئ الذي تعيشه، وأخذت على عاتقها تغيير هذا الواقع عبر وسائل خاصة بها، وقد تمكنت تلك الجماعات من أن تشكل عبر معاناتها الطويلة حركة منظمة، لها أهدافها الاجتماعية، وقد بدأ ظهور حركة الشطار والعيارين على مسرح الأحداث في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري في أثناء الفتنة بين الأمين (193-198هـ/ 808-813) والمأمون (198-217هـ/ 813-832م)، التي استمرت أربعة عشر شهراً؛ حيث شارك الشطار والعيارون في القتال مع الأمين في موقعتي قصر صالح والشماسية، وكانت الأعداد المشاركة منهم في هذا الصراع في يوم واحد قد بلغ مائة ألف عيار، وأظهروا بسالة في القتال حتى ضاق طاهر بن الحسين - قائد المأمون - بهم ذرعاً، فحمل عليهم في معركة الشماسية وقتل عدداً كبيراً منهم[44]، واستعان بهم الخليفة المستعين (248-252هـ/ 862-866م) في حربه ضد الخليفة المعتز (252-255هـ/ 866-868م)، وفرق لهم الأموال وجعل عليهم عريفاً سنة 251هـ/ 865م[45] وخلال الحكم البويهي في بغداد ظهر نشاط العيارين

والشطار؛ فقد استعان بهم ابن شيرزاد سنة (334هـ/ 945م)، لمقاومة معز الدولة البويهي، وفي سنة 361هـ/ 971م ثارت العامة في بغداد بقيادة فرق الشطار والعيارين، وتمكنت من الوصول لقصر الخليفة المطيع لله (334-364هـ/ 945-974م) "بل تمكن القائد سبكتكين من استغلالهم في تجنيدهم بمحاربة بختيار البويهي"[46]. يقول ابن الأثير: "وظهر في تلك الفتنة عدة قواد من العيارين تقسموا السلطة في بغداد"[47]، ويذكر التوحيدي أسماء القادة، وأعمال الشطار والعيارين في إحدى ضواحي بغداد بالقول: "حصل لنا من العيارين قواد أشهرهم ابن كبرويه وأبو الدود وأبو الذباب وأسود الزبد وأبو الأرضة وأبو النوابح، وشنت الغارة واتصل النهب والسلب وتوالى الحريق حتى لم يصل إليها الماء من دجلة أعني الكرخ"[48]. وفي عهد الخليفة الطائع بالله (363-381هـ / 973-991م) تمكنوا من السيطرة على بغداد سنة 380هـ/ 990م وعاثوا فيها سلباً ونهباً، وعينوا عريفاً في كل محلة فيها. وفي عهد الخليفة القادر (381-422هـ/ 991-1030م) ثاروا كذلك ضد الحكم البويهي ونهبوا بغداد فيما سمي بفتنة العامة سنة 392هـ/ 001م. واستفادت الدولة من تحركاتهم، واستعانت بقادتهم؛ فقد تعاون كبير العيارين أبو علي البرجمي مع الخليفة القادر بالله (381-422هـ/ 991-1030م) سنة 421هـ/ 1030م لإخماد الفتن والإشراف على بغداد وجمع في يده الأمر[49] وسيطر على بغداد خمس سنوات متتالية (421-425هـ/ 1051-1052م)[50]، كما أن الخليفة القائم بأمر الله (422-467هـ/ 1030-1074م) استعان بمقدم العيارين - ويدعى علي الزيبق البغدادي - لإخماد الفتنة التي وقعت في بغداد (443-444هـ/ 1051-1052م)[51]. يقول ابن الأثير "وفيها حدثت الفتنة.... في بغداد، وامتنع الضبط، وانتشر العيارون، وتسلطوا، وجبوا الأسواق، وأخذوا ما كان يأخذه أرباب الأعمال، وكان مقدمهم الطقطقي والزيبق"[52]. كما أشار إليهم ابن الأثير في حوادث 522هـ/ 1128م عندما حاصر السلطان السلجوقي محمد الثاني بغداد سنة 530هـ/ 1135م و532هـ/ 1137م حين ثار العيارون فيها، ونهبوا الأموال، وقتلوا الرجال.... حتى إنهم كانوا يقصدون أرباب الأموال ظاهراً، ويأخذون منهم ما يريدون..." وظهر منهم

زعيمان هما: ابن بكران العيار، وابن البزاز في سواد العراق، وازداد أتباعهما حتى كادا يسكان العملة باسميهما[53].

أما عن تنظيمهم فكان هرمياً يترأسه الأمير، ولكل عشرة منهم عريف، ولكل عشرة عرفاء نقيب، ولكل عشرة نقباء قائد، ولكل عشرة قواد أمير[54]. ويدل هذا الترتيب على أن حركتهم كانت منظمة، وتنال قيادتهم احترامهم. ففي حصار بغداد الأول سنة 197هـ/ 812م سمي تنظيمهم العسكري "كتائب الهرش[55] وكان تركيزهم على عنصر الشباب لما تتطلبه أعمالها من قوة جسمانية وقدرة على الكر والفر، ويسمي ابن الأثير جماعة الشطار والعيارين المنظمة بـ"أصناف البنوية" كان العيارون يضمون في صفوفهم أجناساً وطوائف مختلفة، لذلك أشار ابن الأثير إلى المشتركين في حوادث سنة (371-375هـ/ 971-975م) بقوله: "وهم أصناف البنوية والفتيان والسنية والشيعية والعيارين"[56].

وأطلق على هؤلاء عدة تسميات مختلفة، منها: الشطار والعيارون والزعار والسفلة والدعار والذعار والفجرة والسوقة واللصوص، وباعة الطرق والعراة والأوباش والرعاة وأهل السجون، ويتضح ذلك من قول الطبري: "... ذلت الأجناد وتواكلت عن القتال إلا باعة الطرق والعراة وأهل السجون والأوباش والرعاة والطرارين وأهل السوق"[57]، وأطلق بعض المؤرخين اللصوص على العامة؛ مما يعني إعطاء صورة سلبية عن هؤلاء؛ فمثلاً هل كانت الأعداد المشاركة في الصراع بين الأمين والمأمون في يوم واحد قد بلغ مائة ألف عيار؟ أيعقل أن يكون جميع هؤلاء من عامة بغداد هم من اللصوص؟ أم إن العامة ضمت في صفوفها المتمردين الذين لجؤوا للتلصص والشطارة والعيارة والزعارة، واتخذوا أساليب مختلفة للتعبير عن تنظيمهم الاجتماعي ضد كبار التجار والمسؤولين؟[58] وعملت تنظيمات الشطار والعيارين على توحيد صفوفهم وزيادة أتباعهم وكسب ثقة العامة لما يتمتعون به من مهارة عسكرية؛ خاصة أن معظمهم من المقاتلين والفتيان الأقوياء الذين يمتازون بالشجاعة، ويتظاهرون بمناصرة الضعيف والتضحية بالنفس، فسارعت العامة للاستنجاد بهم كلما تعرضت لخطر خارجي، واستخدم الشطار والعيارون أساليب عدة للتعبير

عن ذاتهم، منها: مهاجمة التجار والاستيلاء على أموال الأغنياء، وقطع الطريق، وإثارة الفوضى في الأسواق وطرق التجارة مكونين فرقاً مُسلحة لمهاجمة القوافل التجارية وجباية أموالها، ثم توزيع هذه الأموال على أتباعهم، وقد برر ابن سياد الكردي رئيس إحدى تلك الجماعات عمله بالقول: "إن هؤلاء التجار لم تسقط عنهم زكاة الناس لأنهم منعوها. . . . ، واللصوص فقراء إليها لذا أخذوا أموالهم، وإن كره التجار أخذها كان ذلك مباحاً؛ لأن عين المال مستهلكة بالزكاة وهم يستحقون أخذ الزكاة شاء أرباب الأموال أو كرهوا"[59]، وقد حملوا ما وصلوا إليه من أساليب مخالفة إلى الدولة التي هضمت حقوقهم، ويتبين ذلك من قول ابن حمدون: "وهو من الذين أعيوا السلطان سنة332هـ/ 933م"[60] مخاطباً أحد التجار: " . . . احتجنا إلى هذا الفعل ولسنا فيما نفعل ارتكاب أمر عظيم. . . "[61] ومن هذه العبارات نستنتج أن التجار يمثلون هدفاً أولاً للشطار والعيارين؛ لأنهم يمنعون الزكاة ويحتكرون الأموال، في ظل حماية الدولة القائمة لهم، فكان خروجهم على السلطة هو أسلوبهم في المعارضة للحصول على حقوقهم "لينالوا بأسلوب غير شرعي ما يتصورون أنه حق شرعي لهم"[62].

وفي العصر السلجوقي استمر نشاط حركة العيارين والشطار، بل تطورت واتخذت نهجاً تنظيمياً في عهد استقلال الخلافة التي بدأت بإخراج السلاجقة عن بغداد سنة 575هـ / 1184م. عندما نظمها الخليفة الناصر لدين الله العباسي بأن عمل على امتصاص الطاقات الشبابية التي كانت مبعث شر وفساد وتحويلها لصالح المجتمع والدولة واستحدثها في ثوب جديد، سمي "تنظيم الفتوة"، ووضع لها القوانين والضوابط؛ مما جعلها حركة ذات أهداف إيجابية تدعم مركز الخلافة وتعمل على تقويتها ورفع قدرتها في مواجهة أعدائها، وتحافظ على الأمن الداخلي[63]. إلا أن ما يميز تنظيم الفتوة عن تنظيم الشطار والعيارين هو مشاركة الأكابر والأعيان فيها فهي لم تقتصر على العامة؛ وذلك لأن الخليفة الناصر نفسه اعتبر رئيساً (للفتوة) وكان كثيراً ما يشتغل برمي البندق ويلبس سراويل الفتوة، وقد اعتبر ابن خلدون ذلك دليلاً على هرم الدولة وذهاب الملك

عن أهلها. ونظراً لأهمية نظام الفتوة فقد ألزم الناصر لدين الله جميع حكام الولايات والمعتمدين والوكلاء والمسؤولين في العاصمة بغداد والأقاليم باتخاذ ذلك شعاراً ونسبة؛ فقد ألزمهم لبس سراويل الفتوة وملابس الكشافة، وتزيين صدورهم بالإشارات والنياشين الدالة عليها والموسومة بها، وألزم هؤلاء أولادهم وحاشيتهم وكل القادرين على حمل السلاح من أتباعهم الانخراط في كتائب الفتوة، وكان من أبرز القادة الذين شاركوا الخليفة الناصر في نظام الفتوة: الملك العادل الأيوبي الذي لبس هو وأولاده وحاشيته (سراويل الفتوة)، وكذلك الملك الظاهر صاحب حلب، وصاحب غزنة في الهند شهاب الدين الغزنوي، وصاحب كيش والأتابك سعد صاحب شيراز، ولذا كان تنظيم الفتوة قد مكن الناصر من انتقاء الكفاءات الشابة لمصلحة البلاد حتى قيل عن الخليفة الناصر "كأنه يشاهد جميع البلاد وما جاورها بعيون مفتوحة ودفعة واحدة"[64].

وبسبب وقوع بعض الفتن والأحداث في محالّ بغداد وضع الناصر نظاماً وشروطاً للانتساب لتنظيم الفتوة، ومن يخالفها تبطل فتوته، وتضمن نظام الفتوة ما يأتي:

1 - إذا ارتكب الرفيق جريمة القتل فإن رفيقه يتبرأ منه في جمع من الفتيان، وبذلك يخرج عن دائرة الفتوة.

2 - إن كل فتى يحوي قاتلاً ويخفيه ويساعده على أمر ويؤويه يتبرأ رئيسه منه.

3 - إن الفتى متى قتل فتى من حزبه سقطت فتوته ووجب أن يؤخذ منه القصاص فإن لم يكن القتيل من الفتيان بل عوناً من الأعوان أو متعلقاً بديوان في بلد الإمام الناصر فإن القاتل تسقط فتوته ويؤخذ القصاص منه.

وبذلك أصبحت الفتوة حركة منظمة ذات قواعد قانونية وأسس أخلاقية. ولكن يبدو أن حركة الفتوة فقدت حيويتها بعد الناصر لدين الله وعادت حركة الشطار والعيارين إلى الظهور من جديد، خاصة في خلافة المستعصم بسبب الفتن المذهبية والطائفية الكثيرة وظهور عصبية المحالّ بشكل قوي؛ فكان العيارون يعيثون ببغداد فساداً؛ يسرقون الأموال وينهبون البيوت وبلغت بهم الجرأة إلى مهاجمة دور الأمراء[65].

وقد تأثرت دمشق سابقاً بمثل هذه الأحداث؛ مما تمخض عنه بعض التنظيمات الاجتماعية مثل منظمة الأحداث التي ظهرت في الدولة العباسية واتخذت العراق مركزاً لها، ثم امتدت إلى بلاد الشام بسبب اضطراب الأمن فيها، وما تعرضت له من اعتداءات خارجية، مما دفع بسكان دمشق إلى تنظيم شؤونهم فشكلوا منظمة الأحداث، وقد تزايد نشاطهم خلال الفترة الواقعة ما بين النصف الثاني للقرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وأواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، ويبدو أن الأوضاع السياسية التي تمثلت في محاولات الدولة الفاطمية الاستيلاء على دمشق، دفعت بهؤلاء الأحداث إلى مقاومة الفاطميين، وظهر لتنظيمهم قادة منهم: محمد بن عصودا، وابن المورد، وقسام التراب، الذي استقل بحكم دمشق لفترة من الزمن، وكان الأحداث يقومون بوظائف الشرطة، يسهرون على حفظ الأمن في الأحياء. وكان ابن القلانسي في أثناء حديثه عن الأحداث يستخدم مع كلمة أحداث كلمة: "الزعر" أحياناً، وهذا له دلالته وأهميته، كما أن الزعر نشطوا كثيراً في العصر المملوكي، ووجد إلى جانبهم تنظيم آخر هو "الحرامية"، وكذلك وردت إشارة إلى تنظيم "الحرافيش"، وموطن نشاطه مصر، لكنه كان له وجود في مدينة دمشق في أواخر العصر المملوكي خاصة مع تزايد الأحداث السياسية والعسكرية واضطرابها، وقد ارتبط أفراده بزوايا الطرق الصوفية[66]. وعن هذه التنظيمات سنخصص المبحث الثالث للحديث عنها بالتفصيل.

وتعود أسباب ظهور التنظيمات الاجتماعية إلى اضطراب الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية في أواخر العصر المملوكي؛ إذ عمت الفوضى واضطرب الأمن، وانتشر الظلم وقد أشار المؤرخ ابن طوق إلى تعرض أهالي دمشق إلى الظلم من قبل الأمراء وأعوانهم وجندهم وأوضح ذلك بالقول: "والناس في أمر مريع من الظلم"، وقوله أيضاً: "والخلق في شدة عظيمة..."، وقوله: "وتزايد ظلم الترك على الرعية..."، وكان هذا الظلم يقع على الناس في أثناء جباية الضرائب خاصة عندما يتعلق الأمر بتكاليف الجيوش التي ازدادت في أواخر العصر المملوكي؛ حيث كانت الدولة تفرض على المدينة أو القرية

أحد أمرين: إما أن يقدم أهلها عدداً من المشاة الجند ويتكفلوا بالإنفاق عليهم حتى يعودوا، وإما أن يدفعوا نفقات الجند الذين كانت تستخدمهم الدولة قوة مساندة للجيش المملوكي. ولتحقيق ذلك كان نائب دمشق يستخدم أقسى الأساليب لإكراه الناس على تلبية مطالب الدولة من الجند أو تغطية نفقات الحملات العسكرية. ففي سنة 895هـ/ 1489م طلبت السلطات المملوكية من الناس دفع درهم المشاة، وكان يوضع كل من يهرب أو يرفض أو يتأخر عن تلبية مطالبها في (الترسيم)؛ أي السجن، بل يلجؤون إلى اعتقال زوجته وأطفاله لإرغامه على الدفع. ونستطيع القول إن سياسة المماليك مع العامة كانت المحرك الرئيس لظهور هذه التنظيمات وزيادة نشاطها في دمشق، من خلال فرض السلطات المملوكية الضرائب الباهظة على السكان وسياسة الرمي والطرح وتكليف الناس بتغطية نفقات التجريدات العسكرية[67].

ومن الأسباب أيضاً كثرة مظالم الجند وتعدياتهم على السكان خاصة أن الجيوش التي تعبر المنطقة كانت تقيم حول دمشق في أثناء عبور الأجناد من مصر إلى أجزاء من بلاد الشام، وفي أثناء إقامتها كانت تعبث في البلاد فساداً. ففي عام 891هـ/ 1486م، حل الجنود حول دمشق: "مماليك السلطان الأجلاب عابثون في البلاد. . . . "، وكانت السلطات المملوكية تحاول تقليل الخسائر قدر الإمكان، لذلك كانت ترسل من ينادي بالناس بتحذيرهم بأن "الأسواق تغلق لأجل المماليك؟" حرصاً على أموالهم، كما كانت تأمر الناس أن يخفوا الأولاد والنساء والأطفال والدواب "خوفاً من العساكر المصرية؛ لأنهم عاثوا في غزة، وقتلوا بها ثلاثة أنفس. . . . "، وعلى الرغم من هذه التحذيرات كان يقع كثير من المظالم على الناس[68].

المبحث الثالث - التنظيمات الاجتماعية في مصادر ابن طولون

ترتبط دراسة التاريخ الاجتماعي بالتطور المدني من حيث توافر وتطور مؤسساته التي تُعنى بفئات المجتمع، وما يترتب عليه من ازدحام سكاني للمدينة بسبب تطورها ونشاطها الاقتصادي، ثم ما تتمتع به من مستوى ثقافي من حيث توافر المدارس والمؤسسات الدينية التي تُعنى بالتعليم والثقافة.

وكون البحث يتناول أحد الجوانب الاجتماعية في العصر المملوكي لا بد من إعطاء لمحة عن الفئات السكانية ومستوياتها، وإلقاء الضوء على نظام الحكم والعلاقة بين الحكام والسكان في مدينة دمشق التي مثلت تراكماً حضارياً بنائياً وسكانياً مهماً، امتد عبر العصور التاريخية المتلاحقة، وفي العصر المملوكي اشتهرت مدينة دمشق بأحيائها المتعددة التي تركزت على شارع رئيس مستقيم يقع في وسطها يربط بين بابين: الشرقي شرقاً والجابية غرباً، وتتفرع عنه شوارع أخرى رئيسية مستقيمة ينتهي كل منها بباب[69]، وانتشرت على طرفي الشارع الرئيسي الأسواق المركزية والمساجد الكبرى والحمامات العامة، ثم توزعت على أطراف الشوارع المتفرعة من الشارع الرئيسي المركزي الأنشطة التجارية والحرفية لكل حي، إضافةً إلى حماماته ومساجده[70]، وتتفرع من هذه الشوارع الفرعية أحياء متلاصقة انتشرت فيها المحالّ التجارية، ومنها توزعت الحارات الشعبية المكتظة بالسكان، وانتشرت في الحارات الأزقة الضيقة، وجميعها مرتبط بشارع الحارة الرئيسي الذي يُعرف بالسوقية ويقع عنده الحمام العام، والفرن والمسجد والحوانيت التجارية والحرفية[71].

شكل الحي وحدة إدارية مستقلة له على مستوى الدولة والسكان معاً؛ فمن حيث التصميم الهندسي كان يتفاوت في ارتفاع جدرانه، وبوابته وأزقته وممراته، وكانت أزقة دمشق مرصوفة، لكل واحد منها رصيفان خُصصا للمشاة، ويمرُّ بينهما الراكبون[72]، ومن ناحية إدارية يترأس الحي شيخ يعينه نائب السلطان المملوكي في نيابة دمشق من أجل متابعة حفظ النظام وتمثيل سكان الحي في المناسبات العامة الاجتماعية والسياسية التي تُقام في المدينة، ومساعدة الشرطة في جمع الضرائب مثل الرمي أو الطرح أو تكليفه للقيام بجمعها[73]، وكانت الأحياء متداخلاً بعضها في بعض، متآزرة معاً في أثناء الاضطرابات العسكرية، ويقف بعضها مع بعض إذا تعرضت لخطر خارجي[74]، واجتماعياً كان كل حي منغلقاً على نفسه في أثناء قيام الاضطرابات العسكرية، والفتن الداخلية حماية للحي[75].

وفي العصر المملوكي تطورت حركة البناء في المدينة فشيدت القصور مثل قصر الأبلق في عصر السلطان الظاهر بيبرس[76]، وشيد نائب دمشق

عز الدين إيدمر المدرسة الظاهرية تحقيقاً لرغبة السلطان السعيد بركة خان، وشيد نائبها تنكز سنة 739هـ/ 1339م مدرسة للقرآن، ومسجداً، كما امتد البناء خارج أسوار المدينة؛ مما يعطي دلالة على زيادة أعداد السكان وانتشار الأبنية الخاصة والتابعة للدولة داخل أسوار المدينة وخارجها. وقد ترتب على التطور السكاني والعمراني للمدينة ازدهار الحياة الاقتصادية؛ فاتسعت فيها الأسواق التجارية المتخصصة حتى وصلت إلى مائة وأربعين سوقاً، منها سوق: السلاح، الصالحية، الصفارين، الصناديق، الصوف، الطير، العجم، القمح، القناديل، اللؤلؤ، النائب، النحاسين، الورق، دار البطيخ، الخليين، الذراع، ساروجا، السرجين، الشعير، العلبيين، عمارة، سوق الغزل، العتيق، الغنم، القشاشين، القطن، الفوقاني، الهواء، البزورية، الحريميين، الجبن، الخيل، الدهشة، برا، الإكافين، الريحان، سوق الخيل[77]، الحرير، الذراع، الذهبي، اللحامين، السقطية[78]، وغيرها، وترتب على ذلك إنشاء ضواحٍ جديدة في المدينة، وهي: السويقة في الجنوب الغربي، وسويقة ساروجا في الشمال[79]، كما يذكر ابن بطوطة ضاحيتين نشأتا في العصر المملوكي، هما: الربوة[80]، الواقعة أسفل جبل قاسيون وتشتهر بقصورها السلطانية، وضاحية الصالحية خارج أسوار المدينة؛ حيث انتشرت بها السكك والمدارس، وأقيم بها حتى أواخر العصر المملوكي سبع دور حديث[81] (وستة عشر رباطاً، وثمان وثلاثون حارة، وواحد وسبعون مسجداً، لكن ما تعرضت له دمشق من أزمات أثّر على تطورها وأهمها تعرض المدينة لغزوات المغول وخاصة غزوات تيمورلنك سنة 803هـ/ 1400م، وما نتج عنه من تدمير البنى الاجتماعية والاقتصادية للمدينة[82].

كان المجتمع المملوكي - بشكل عام - مجتمعاً طبقياً تتفاوت فئاته (طبقاته) الاجتماعية اقتصادياً واجتماعياً، وقد قسمه المقريزي عامة إلى سبع طبقات، هي: أرباب الدولة، ومياسير الناس، من التجار والباعة وأصحاب المعاش، والسوقة والفلاحون من أهل الزراعة وسكان الأرياف والقرى، وأرباب الصناعات والحرف البسيطة والمعدمون[83].

ولكن إذا درسنا الحياة الاجتماعية في مدينة دمشق خاصة فإن الوضع مختلف؛ لأن لهذه المدينة خصوصيتها وتجانسها الاجتماعي الشامل وتشمل فئات المجتمع الدمشقي: الطبقة العسكرية الحاكمة، وطبقة الأعيان بمن فيهم علماء الدين المسلمون والقضاة، والمفتون، وطبقة رجال الدين المسيحيين، وأرباب الصاغة وكبار التجار (بياض العامة وسواد العامة)؛ حيث شكّل بياض العامة الطبقة البرجوازية بما يمتلكونه من ثروات كبيرة توارثوها عن آبائهم إضافة إلى كبار التجار وأرباب القوافل التجارية وتجار الجملة والسماسرة (الوسطاء التجاريين[84].

أما طبقة العامة فقد أخذت هذه الفئة بالتراجع منذ العصر العباسي الثاني بسبب نفوذ الأتراك وهيمنتهم على الدولة؛ إذ ازدادت الفجوة بين الحاكم والمحكومين حتى أصبحت شرائح كبيرة من المجتمع مهمشة خاصة في المدن، واستمر ذلك حتى العصر المملوكي؛ حيث تقاسم المماليك الخيرات الاقتصادية واتسعت الفجوة بين الطرفين، على الرغم من التقارب النسبي الذي قام به بعض حكام المماليك للتقرب للعامة عن طريق إنشاء المدارس[85]، والمساجد والخانقاوات، والرباطات[86]، والبيمارستانات[87]، إلا أن الفجوة أخذت في الارتفاع؛ مما ترتب عليه تفاوت طبقي في المجتمع، أفرز فئة أطلق عليها في العصر المملوكي " الزعر" ، وهي الموضوع الذي سندرسه في كتاب ابن طولون الدمشقي، والزعر هم جزء من العامة، والعامة مصطلح يعني الفئات الشعبية التي لم تتلق تعليماً ولا تملك ثروة، ولم تتولّ منصباً عالياً، بل تقوم بدفع الضرائب، وسميت بالعامة لإضفاء صبغة من الاحترام عليها وتمييزاً لها من الزعر والأرذال[88]، ومصطلح العامة تناولته المصادر التاريخية، من مثل: الطبري في كتابه "تاريخ الأمم والملوك"[89]، والصفدي في كتابه "نكت الهميان في نكت العميان"[90] وغيرهما.

وفي العصر المملوكي تألفت العامة من أصحاب الحوانيت والباعة الجائلين وباعة المفرق والمهنيين كالنجارين والبنائين والحرفيين وأصحاب الصفقات التجارية المشبوهة وتجار النخاسة والسماسرة والصيارفة، وأضاف

إليهم المقريزي القصابين وضامني الأفراح والمآتم، والمشاعلية (أي منظفي الأقنية والبيوت) وعمال الدباغة، وضاربي الرمل لكشف الغيب[91]، وهذا التصنيف ينطبق على جميع العامة[92]. وقد تشكل من هؤلاء تنظيمات مختلفة.

وظهر في بلاد الشام ما يسمى بالزعر (الشطار، والبلاصين) والغوغاء والأوباش والأوغاد والحرامية وغيرهم[93] وكان بعض عناصر هذه الفئة دخلاء على المجتمع الدمشقي، لجؤوا إليها إثر الغزو المغولي للعراق[94]. وتوزعوا على حارات[95] مدينة دمشق وأحيائها، وأشهرها: (الغوطة[96]، والقراونة، والشاغور، والقبيبات، وميدان الحصى[97]، وحارة المزابل، والشويكة، وباب زقاق البركة، وباب السريجة).

والزعر: الزعران، الأحداث، وقيل زعر وأزعر والجمع زعُر، والزعارة بالتخفيف، وتعني شراسة وسوء خلق، وربما قالوا: زعر الخلق، والزعرور السيئ الخلق. "العامة تقول رجل زعر[98]. وأطلق على الفرد من الزُّعر (الأزعر) ومن أسمائه الشاطر والعايق[99]، والزُّعر امتداد للأحداث الذين ظهروا ما قبل عصر المماليك، ولكنهم أكثر أهمية من الأحداث؛ لأنهم أكثر الجماعات تنظيماً في المدن المملوكية، وبحكم تنظيمهم العسكري شكلوا نفوذاً قوياً موازياً للسلطة المملوكية التي اتخذت طرقاً لمقاومتهم[100]، وسلط ابن طولون الضوء على هذا التنظيم في دمشق من خلال ما أورده عنهم في يوميات كتابيه: إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ومفاكهة الخلان في حوادث الزمان.

وجاء أول ذكر للزعر في مؤلفات ابن طولون سنة 890هـ / 1485م؛ إذ تشكلت عصابات متفرقة في أحياء دمشق، لم يجمعها تنظيم موحد، وكان يقود الزعر في كل حي زعيم لهم، يسمى بالكبير أو الرئيس، وأورد ابن طولون في يومياته أسماء أحياء دمشق التي نشط فيها الزعر مثل الصالحية[101]، والشاغور[102]، وحارة المزابل[103]، والشويكة[104]، والقبيبات[105]، وباب الجابية، وباب المصلى[106]، وميدان الحصى[107]، ومحلة جامع حسن، والسويقة[108]، وباب السريجة، والمرجة بين النهرين[109]، ومن أسماء قادة الزعر الواردة سنة 903هـ/ 1497م الشريف قريش كبير الزعر بالشاغور، وابن

الفليك من زقاق البركة، وبركات من محلة الشاغور، وفي سنة 904هـ / 1498م برزت أسماء لكبار الزعر، منها: ابن الطيان عبد الوهاب، وابن كسار الخطيب والمعبوي، وبركات بن أبي الخير دلال الجوار من محلة حسان، وإبراهيم بن عطا من زعر الصالحية، وابن الطباخ سنة 907هـ / 1501م[110]، وإسماعيل القرواني، وأبو طاقية 910هـ / 1504م و911هـ / 1505م[111]، وابن الأستاذ رئيس محلة ميدان الحصى، وأبو بكر بن المبارك رئيس المصلى، وسمكري رئيس باب الجابية الذي تم إعدامه سنة 911هـ / 1505م[112]، ومما يلفت الانتباه كثرة الأسماء، ووجود ألقاب للزعر كالشريف، والسيد لإضفاء المكانة والمنزلة العالية على نفسه، وكان الزعر يلبسون على رؤوسهم ما يسمى بالقرعانية ويجعلون ثيابهم مقلوبة، ويحملون الأسلحة إشارة إلى قوتهم وهيبتهم[113]، كما يلبسون الأبشات بالأكمام الواسعة للتستر بالبولاد وإخفاء الأسلحة التي يحملونها تحت ملابسهم[114].

العلاقة بين الزعر والسلطات المملوكية

استفاد بعض كبار الأمراء المماليك[115] على اختلاف مراتبهم من الزعر فعملت السلطات المملوكية على استمالة الزعر لجانبها، فأدخلتهم في خدمتها[116] ووضعت لكل حارة أمين[117]، وهذا التقارب ساعد على ازدياد شوكة الزعر والأوباش في دمشق بسبب ميل الدولة إليهم، خاصة عند دخول الجيش المصري إلى دمشق سنة 903هـ / 1497م[118]، وكانت جماعات الزعر يشاركون في مرافقة نواب دمشق وسفرهم بمهمات خارج المدينة؛ فقد رافقوا الأمير خاير بك[119] في سفره من دمشق سنة 910هـ / 1504م، بل كان النواب يسهمون في تسليح الزعر وحضور استعراضاتهم العسكرية في الحارات؛ فقد قام نائب دمشق أركماس[120] بمساعدة كبير الزعر أبو طاقية ومن معه في حارة الشاغور؛ حيث أمده النائب بآلة الحرب، حتى خرج الزعر بترتيب عجزت عنه الدولة[121]، إلا أن هذا الدعم والاستعراض العسكري لزعماء الزعر أثار غضب بقية الأمراء المماليك في دمشق فلاموا أركماس ووبخوه على ما قام به؛ لأنه فتح

المجال أمام الزعر بالاعتداء على الناس في الحارات[122]، وأسهمت تنظيمات الزعر في التجريدة المملوكية التي أرسلتها الدولة ضد علي الصوفي سنة 913هـ/ 1506م، وكذلك شاركت في التجريدات الموجهة لمحاربة البدو في حوران[123].

وكانت الدولة تقف مكتوفة الأيدي في النزاعات التي تقع بين تنظيمات الزعر داخل أحياء دمشق؛ فقد خرج مشاة زعر الشاغور في استعراض وصل إلى حارة المزابل فوقع نزاع بين زعر الحارتين سقط على أثره كثير من القتلى والجرحى، وأغلقت الأسواق بسبب هذا النزاع سنة 893هـ / 1487م، وقد حمل ابن طولون مسؤولية ذلك إلى السلطات المملوكية التي تهاونت في التصدي لهذه النزاعات[124]، كما وقع نزاع بين زعر ميدان الحصى، وأهل الشاغور سنة 906هـ/ 1500م، وأظهرت السلطات عجزها في القتال الذي بين محمد النجار الأزعر في محلة رأس مقر حجاج، وبين يوسف بن عبد الوهاب الطيان، وقد ترتب على ذلك زيادة أطماع الزعر وتسلطهم على الدولة وسكان المدينة معاً[125]، وتكرر مثل ذلك سنة 907هـ/ 1501م عندما قام زعر الصالحية بقيادة كبيرهم الجاموس بالاعتداء على أهل ميدان الحصى[126]، وفي سنة 922هـ/ 1516م اجتمع زعر الأوباش في دمشق والتقوا بالسيوف، وقتل بعضهم بعضاً، ففرضت السلطات عليهم مالاً[127]. في سنة 926 هـ / 1519م وقع خلاف بين زعر الشاغور وحارة المزابل بسبب عداوات سابقة بين القيسية واليمنية؛ ذلك أن زعر الشاغور قيسية، وزعر حارة المزابل يمنية. وهكذا يتبين أن الصراعات ما بين الأحياء تشكل ظاهرة دائمة في تاريخ مدينة دمشق، وقد أدى وجود الأسلحة بين أيديهم إلى قيامهم بأعمال السلب والنهب من البيوت بل يقتلون من يقاومهم من أهالي البيت، يقطعون الطرقات وينتهبون بيوت التجار والأغنياء. وكانت سلطة الزعر تشتد وتضعف بحسب قوة السلطات المملوكية وأهدافها، وكانت خطورتهم تدفع بعض العلماء إلى التدخل لحماية الناس، وقد حاول بعض الزعر وضع خدماتهم تحت سلطة شيخ الإسلام لاستمالته لجانبهم، وقالوا له نحن بين يديك فقال لهم: "أنا مالي غرض إلا إطلاق المحابيس، أو أنا أرحل من هذه

المدينة" . وقد اتخذت السلطات منهم قوة مسلحة للحراسة والجندية، فعمل بعضهم عند نائب القلعة والآخر عند القاضي الحنبلي. وشارك الزعر في العرض أمام السلطات المملوكية في احتفالات خاصة، منها: سنة 893هـ/ 1487م عرض زعر مشاة الشاغور بالإصطبل[128]، وفي سنة 895هـ/ 1489م عرض المشاة القيسية في جميع الحارات، وخرجوا ملبسين من حارة الشاغور، وبلغ عددهم ثلاثة آلاف[129]، بحضور عدد من أمراء دمشق[130]، وفي سنة 905هـ / 1499م شارك الزعر في استعراض مهيب لاستقبال موكب نائب كما خرجوا في استعراض عسكري لهم سنة 903هـ/ 1497م إلى ميدان الحصى بدمشق في أثناء مروره في حارة الشاغور التي زينت خصيصاً لهذه المناسبة، وكذلك عرض الزعر في حارة المزابل باستعراضهم الكامل أمام نائب دمشق في الميدان الأخضر سنة 906هـ/ 1500م[131]، وفي سنة 907هـ/ 1501م خرج زعر الصالحية لاستقبال أهل ميدان الحصى إلى جانب نائب الغيبة، وأرباب الدولة وناصر الدين ابن الحنش مقدم البقاع وجنده، كما استقبل زعر الشاغور، واستضافوا زعر مصلى العيدين الأمراء المماليك القادمين من مصر إلى دمشق[132]، وفي سنة 908هـ/ 1502م استقبل الزعر وأرباب الدولة السلطان بايزيد العثماني الذي كان متوجها لبلاده، فقد تقدم "أهل الزعارة " كالعادة أمام نائب دمشق ملبسين بالأسلحة في سنة 909هـ/ 1503م[133]، ويبدو أن استعراض الزعر أمام السلطات الملوكية أصبح نهجاً معتمداً للدولة، ويمكن أن نوضح أن علاقة السلطات المملوكية مع التنظيمات الاجتماعية، وخاصة الزعر، قامت على ما يلي:

أ - المصالحة

شكّل تنظيم الزعر خطراً على المماليك؛ حيث ظهر ذلك في أواخر عهد السلطان الأشرف قايتباي (872-901هـ)، وذلك سنة 898هـ/ 1492م عندما اغتنم الزعر إرسال السلطات المملوكة في دمشق حامية عسكرية مكونة من تسعين مملوكاً بكامل أسلحتهم وعتادهم وخيولهم إلى القاهرة، فتجرأ الزعر وقاموا بالشغب في دمشق، فاتخذ النائب ضدهم إجراءات مشددة، تمثلت في حرق

نصف الشاغور والقبض على أفراد الزعر الذين عبر عنهم باسم " المناحيس" ؛ بحيث تم القبض عليهم عن طريق أكابرهم في حي الشاغور، وأصدر نائب دمشق أمراً بشنق جماعة من الزعر، وقطع أيديهم، وحرق سوق القبيبات للمرة الثانية[134]، وفي سنة (899هـ / 1493م) أوعز بقتل زعيم الزعر المدعو علي بن بلغا[135]، ويبدو أن هذه الإجراءات لم تثنِ الزعر عن تمردهم بل ازدادوا قوة وخطراً مستغلين تراجع قوة الدولة وضعف قبضتها، وعدم قدرتها على الحد من نشاطهم داخل دمشق، فعلت همتهم وكثرت أعدادهم وتوحدت كلمتهم، وازداد تسليحهم، بل لجؤوا إلى تدريبهم الشباب ومن ينضم إليهم في الحارات، وتفيدنا حوادث سنة 902هـ/ 1496م بنشاط كبير للزعر والبلاصية في دمشق، حتى باتت المدينة في فوضى عارمة في ظل غياب الدولة، فكثر القتل، ووقع الزعر في صراع بعضهم مع بعض في الحارات حتى دفع بالسلطات المملوكية بالاجتماع مع القضاة في مدرسة ابن المزلق[136]، لحل هذه المعضلات التي تعيشها دمشق، وأصلحوا بين أهل الشاغور وميدان الحصى، واشترطوا عليهم شروطاً، ومن قتل منهم هدر دمه[137]. بل ازداد الأمر سوءاً عندما أصدر بعض الفقهاء فتوى للزعر أجازوا فيها قتل أعوان الظلمة وهم المتواطئون مع السلطات المملوكية، وبلغ عدد من قتل في الصالحية ثلاثين، منهم: عبد الوهاب بن زريعة، وأبو بكر بن قبيعة، والشكمي الحمصاني، وأحمد كديش، وأحمد الكفروري، ووالي الصالحية بشير الطوشي[138] وعتيق الشمسي بن القونصي. وقتل في مدينة دمشق نحو مائة، منهم: قاضي حمص الذي قدم لزيارة دمشق، بإغراء أعدائه بقتله من قبل زعر الشاغور. يقول ابن طولون إنه كتب عن الزعر وفتنتهم سنة 902هـ / 1492م وقتلهم هذا العدد الكبير من الناس في سؤال وجه إليه عن هذه المائة، " فأجيب في الأول بجواب مختصر قدر كراسة، وفي الثانية أجيب بقدر ثلاثين كراسة وسماه "الذعر في أحوال الزعر ومحيطهما عدم الجواز" ، وأنه لا يجوز لأحد إغراؤهم[139]، وقد تصدت السلطات المملوكية لهم وأضعفت من قوتهم سنة 903هـ/ 1493م "ثم نودي... بالأمان وإبطال

المحرمات وأن لا يحمل أحد سكيناً وقمع أهل الزعارة[140]، وبذلك اختفى عدد من قادتهم في سنة 904هـ / 1498م بسبب ملاحقة الدولة المملوكية لهم[141]. إلا أن خطرهم قد عاد لدمشق سنة 907هـ/ 1501م عندما قاموا بالتعرض لجماعة النائب والاعتداء عليهم، وأمام عجز نائب دمشق قانصوه البرجي خرج أخوه جان بلاط الذي عين نائباً له[142] لمحاربتهم، لكنه لم يحقق نجاحاً أمامهم؛ فلجأت السلطات المملوكية إلى مفاوضة قادتهم من الزعر، بأن أرسلت لهم وفداً تكون من: نائب القلعة والحجاب والقضاة، توجهوا جميعاً إلى مصلى العيدين، فاجتمع الوفد بأكابر الحارات، فاشترط هؤلاء على الوفد المرسل عدة شروط مقابل عودة الأمن لدمشق، وهي: أن تترك السلطات المملوكية المشاهرة وظلم المساكين، والرمي على البيوت، وقتل البلاصية فوافق الوفد المفاوض على ذلك[143]؛ وبذلك ارتفعت قوة وشوكة هؤلاء الزعر والعوان على صوت السلطات المملوكية[144]، وكانت السلطات المملوكية تسعى في كثير من المواقف إلى عدم الاصطدام بتنظيمات الزعر، والعمل على مصالحتهم[145]؛ ففي السنة ذاتها 907هـ/ 1501م، بعث نائب دمشق إلى كبير زعر الشاغور المعروف بابن الطباخ ركابية وعاتبه "وخلع عليه قشر جوخ وشرط على نفسه أنه لم يبقَ يبرم دية مقتول على غير من لا تجب عليه، ووقع الصلح على ذلك فاطمأن الناس[146]، وهذا أدى إلى "تعطيل أعمال الظلمة على بواب البلص"[147]، لكن خطرهم اشتد عندما أقدموا سنة 922هـ/ 1516م على عمليات القتل والنهب والحرق، والاعتداء على شيوخ المدينة وعلمائها قتلاً ونهباً، وسرقة بيوت رجال السلطات المملوكية جهاراً نهاراً كالدوادار والحاجب وغيرهما[148]، بل حاولوا حرق حارة السمرة ونهبها إلى أن التزم أحد رجال الحارة بدفع مبلغ ألف دينار، للكف عن الحرق وترك الحارة، وافتدى كل من القاضي الشافعي شهاب الدين ابن الفرفور[149]، والقاضي الحنفي ابن يونس أنفسهما بالمال؛ حيث دفع كل منهما مبلغ مائة دينار، بينما لم يسلم قاض آخر هو الفيقي من شرورهم؛ حيث سرقوا ثيابه واعتدوا عليه[150]، واستخدم ابن

طولون مصطلح أعوان الظلمة الشراكسة في حديثه عن حوادث سنة 923هـ/ 1517م عندما قام الزعر بقتل المتعاونين مع السلطات المملوكية الشركسية التي انتهت دولتهم بعد هزيمتهم في معركة مرج دابق 922هـ/ 1516م[151]، وأصبحت بلاد الشام تحت السيادة العثمانية، وقام هؤلاء الزعر بمهاجمة السلطات العثمانية المتحصنة بالقلعة، لكنهم لم يتمكنوا منها بسبب حصانتها[152].

ب - التعذيب والإعدام

كانا من الوسائل التي اتبعتها السلطات المملوكية للحد من خطر الزعر المتفاقم في دمشق: ففي سنة 903هـ / 1497م قبض النائب على شريف قريش كبير زعر الشاغور وقطع يده لأنه تآمر مع جماعة من المشاة، فهرب إلى حلب[153]. وفيها وسط[154] النائب رجلين من الزعر في دمشق، هما: ابن الفكيك من زقاق البركة لقتله رجلاً مغربياً، والثاني من محلة الشاغور يعرف ببركات، وفي سنة 904هـ / 1498م شنق نائب الغيبة رجلاً يعرف ببركات بن أبي الخير من محلة جامع حسان[155]، وفيها قمع خازندار نائب دمشق[156] الزعر وهرب واختفى بعضهم[157]، وقبض فيها على كبير زعر الشاغور ولقبه (شريف قريش) فشنق[158]، وعلى "المجرم" إبراهيم بن عطا أحد زعر الصالحية فشنكل[159]، ثم علق على شجرة، ثم أمر بشنقه[160]، وفي سنة 907هـ/ 1501م أصدر النائب أمراً بتوسيط كبير الزعر الملقب بـ(الجاموس) في منطقة الصالحية، بسبب اعتدائه هو ومن معه من الزعر على أهالي ميدان الحصى[161]، كما قبض دوادار النائب ويدعى أبا قورة على ابن الأستاذ واثنين من الزعر، وأمر بتوسيطهم[162]، وفي سنة 908هـ / 1502م تمرد الزعر في حي الشاغور وثاروا ضد السلطات المملوكية فأرسل إليهم النائب حامية من المماليك، قامت بملاحقتهم وأصدرت السلطات المملوكية أمراً بحرق الشاغور ونهبه[163] وورد في حوادث سنة 910هـ / 1504م، وسنة 914هـ / 1508م، استخدام المقارع لضرب الزعر كعقوبة لتأديبهم وتخويفهم[164]، وأمرت السلطات الزعر بعدم حمل أحدهم الأسلحة الخفيفة ومنها الخناجر[165].

ج - التجريدات العسكرية

كانت الدولة المملوكية في دمشق تلجأ إلى استخدامها إذا ازدادت تحديات الزعر في دمشق، فتلجأ السلطات إلى تجريد القوات العسكرية لمهاجمة أحيائهم وتدميرها، وحرقها إذا تفاقم خطرهم، وذلك كما حدث لزعر الشاغور سنة 908هـ / 1502م، حين قام المماليك بإحراق حي الشاغور، ومطاردة الزعر الذين تفرقوا في بقية الأحياء[166]، وكان نائب دمشق قد أرسل إليهم حامية قامت بملاحقتهم، فهرب الزعر وقتل شيخهم زعر القراونة إسماعيل بن بلغام، فلجأ الزعر إلى الاستنجاد ببقية زعر الحارات فخرجت إليهم السلطات المملوكية بجماعة أخرى من المماليك والغز، فطاردتهم إلى حارة مسجد الذبان، وكسرت السلطات الأبواب والحوانيت، وأضرمت النيران في أنحاء الحي[167].

د - إصدار القوانين

كانت السلطات المملوكية تتخذ الإجراءات الأمنية لمنع تعديات الزعر حيث تصدر القوانين التي تنص على منع حمل الأسلحة؛ فقد أصدر نائب دمشق الأمان، وأبطل المحرمات على اختلاف أنواعها، واشترط أن لا يحمل أحد سكيناً، وعندما فشلت محاولات السلطة المملوكية في قمع فتنة الزعر عام 907هـ/ 1507م بسبب عدم قدرة السلطات على محاربتهم، اضطرت الدولة إلى مصالحتهم فأرسلت إليهم النائب والحجاب والقضاة، وعلى رأسهم الشيخ تقي الدين إلى مصلى العيدين لمفاوضتهم، فاجتمعوا هناك بأكابر الحارات وطلبوا من النائب ترك المشاهرة والرمي على البيوت[168]. كما أبطل النائب ما شُرط على الزعر بفرض دفع دية المقتول ممن لا تجب عليه، وهذا أدى إلى عودة الهدوء إلى المدينة[169]، وكانت السلطات تلجأ إلى اقتحام الأسواق وإغلاقها في أثناء قيام الزعر بالمشاغبات والخروج على الدولة، خاصة عندما قام محمد النجار الأزعر بالشغب ضد السلطات[170]، وفي سبيل إضعاف قوة الزعر لجأت السلطات المملوكية سنة 904هـ/ 1498م إلى تكوين فرق عسكرية من العبيد وتدريبهم على الرمي وكيفية استخدام سلاح البارود والكفيات وتسليحهم،

"وجعلتهم طبقات لكل طبقة كبير، وألبستهم الأقباع، والجوخ الأحمر"، وأرسلتهم إلى الحارات لمواجهة الزعر وقادتهم، وبذلك أضعفت شوكتهم[171].

هـ - الرمي

وأصله أن تفرض على حارة أو حي بأكمله مبلغاً من المال دية لقتيل وجد فيها لم يعرف قاتله عملاً بالمذهب الحنفي[172]، ولكن المذهب المذكور أجاز دفع الدية لأهل القتيل، إنما بدمشق صار النائب أو من ينوب عنه يستوفي مبالغ طائلة يدفع قسماً ضئيلاً منها دية ويحتفظ ببقية المال، حتى غدا الأمر سياسة مالية اجتماعية انتهجتها الطبقة العسكرية وتفنن المماليك باختلاق الذرائع تبريراً لهذه السياسة الملتوية؛ فتذرع نائب دمشق بإدانة الأشخاص أو شخص بمحلة ما بعملية القتل من دون التثبت من صحة ذلك، ليفرض الرمي على سكانها[173]، وغدا الرمي آفة مادية اجتماعية؛ إذ تذرع نائب دمشق بمختلف الاجتهادات ليفرض المال على أهل دمشق مثل ملاقاة قافلة الحج[174]، أو ليسدد من تولى وظيفة برشوة مالاً للنائب الذي كان يشترط عليه لقبوله في المنصب الجديد الرمي على الحارات والأحياء[175]، أو بسبب الصراع بين مملوك وأحد الأهالي[176]، وبات الرمي مصدراً مالياً شبه ثابت؛ إذ فرض لتسديد نفقات الحملات العسكرية وغير ذلك من أنماط الاحتيال التي ابتدعها نائب دمشق ومعاونوه[177].

و - الطرح

وهو بيع قسري يفرضه نائب دمشق على التجار، وبأسعار يرتئيها، كأن يملك سلعاً يريد التخلص منها أو أن يشتري سلعاً من الأسواق بالسعر الذي يرتئيه ثم يعيد بيعها قسراً بثمن أغلى، أو نهب سلع ما يمكن أن تكون فاسدة ويلزم التجار شراءها[178].

ط - المصادرة

وهي مصادرة أموال الناس من دون حجة شرعية، وقد بررها السلاطين ونواب دمشق، حيناً من دون سبب وجيه كحاجة السلطان إلى المال، فيرسل

قاصداً من عنده ويحدد قيمة المبلغ الذي تجب مصادرته[179]، أو لسبب لا يمكن الركون إلى صحته وهو تسديد نفقات الحملات العسكرية للدفاع عن الأطراف الشمالية لبلاد الشام، أو حملات تخدم النائب نفسه خصوصاً عند ثورته على السلطان والخروج عن طاعته بقصد الاستقلال بمنصبه[180]، والمصادر المملوكية عامة والدمشقية خاصة مليئة بأسباب المصادرات وأنواعها، التي غدت عادة يلجأ إليها الحكام للحصول على الأموال من دون مشقة.

ي -المشاهرة والمجامعة

وهي كناية عن مال شهري يفرض على الأسواق لصالح السلطان أو نائب دمشق، فعمد التجار إلى رفع أسعار سلعهم كي يتمكنوا من تسديد المتوجب عليهم، واستغلوا الأمر لزيادة الأسعار أكثر مما تقتضيه المشاهرة، ومن ثم وقع سكان دمشق ضحية للتجار والحكام معاً[181]، إضافة إلى التعديات وعمليات النهب التي تعرضت لها دمشق، فضلاً عن تجاوزات الأجناد سواء من أقام بها أو قدم إليها[182].

علاقات الزعر بعضهم ببعض

كانت علاقات الزعر فيما بينهم تتسم أحياناً بالتعاون وتلتقي جميعاً في تحقيق أهداف واحدة في الوقوف في وجه الظلم الذي يقع عليهم من أرباب الدولة المملوكية. وقد ورد في يوميات سنة 902هـ/ 1496م اجتماع غوغاء أهل دمشق بمحلة القطائع غرب ميدان الحصى، في وليمة أقامها زعر الميدان لزعر الشاغور والمزابل وأشرف عليها من أكابر الزعر شهاب بن المحوجب والسيد إبراهيم، وبحضور القاضي تقي الدين بن قاضي زرع. وأخذ مال الوليمة بالترغيب والترهيب من عامة الناس[183] وكان للزعر لقاءات جماعية في بعض المناسبات الاجتماعية، وقد ذكر ابن طولون جانباً من الاحتفالات التي أقامها الزعر في دمشق، منها: مناسبة ختان الولد محمد بن الأزعر أحمد بن قبعية الحائك في الكتان؛ حيث دعا والده الزعر من مختلف حارات دمشق وضواحيها كالشاغور، والقبيبات[184]، وكفر سوسيا[185]، والمزة، والقابون[186]،

وبرزة[187]، وحرستا[188]، واجتمعوا بالصالحية عند الجامع المظفر بالعدة الكاملة والأقمشة الفاخرة، وأعارتهم السلطات المملوكية الخيول، وكان موكب الاحتفال يدور في مختلف أحياء دمشق ومعهم الطبول والمزامير والمغاني[189]، وكان التحالف يتم بين الزعر في حالة ازدياد الظلم من السلطات على الناس، وفي سنة 907هـ / 1501م اجتمع الزعر في ميدان الحصى والشاغور بمصلى العيدين، واصطلحوا وتحالفوا على محاربة نائب الشام وجماعته لكثرة مظالمهم[190]. وفي حالة تعاون التجار مع الزعر يتعرض التاجر للتعذيب من قبل السلطات كما حصل سنة 910هـ / 1504م عندما قبض نائب الغيبة على التاجر ابن الموقع. وقام كبير زعر الشاغور أبو طاقية بإعداد الولائم تقديراً لأحد نواب دمشق الذي أعارهم الآلات الحربية، وعرض الزعر في دمشق بشكل عجزت عنه السلطات إضافة إلى المشاركة في احتفالاتهم[191].

ولكن عادة ما تقع الاصطدامات بين الزعر أنفسهم، فتتدخل فيها السلطات المملوكية؛ فقد وقع ذلك بين زعر الشاغور وميدان الحصى سنة 903هـ/ 1497م، وقد تصل المناوشات بينهم إلى حد القتل، ومن ذلك عندما لجأ الزعر الغوغائيون ابن الطيان عبدالوهاب وابن كسار الخطيب والمعيبوي، وقتلوا الشريف محمد الوهراني في السويقة[192]؛ بسبب اتهامه إياهم في السرقة، وذلك سنة 904هـ / 1498م، ويقول النعيمي إن الزعر كانوا يمارسون المنكرات والفساد في احتفالاتهم، في ظل تراخي قبضة الدولة في التعرض لهم، بل كانت تتم الاحتفالات على مرأى من السلطات، كما كان الناس شديدي الكراهية لهم لكثرة فسادهم وجرائمهم، فعندما كان يقبض على أزعر ينهي ابن طولون عبارته. "أراح الله منه البلاد والعباد"؛ مما يدل على كثرة فسادهم وخطورتهم في دمشق، خاصة أنهم يشكلون متاعب لهم مع السلطات[193]؛ فهم الذين يجنون أوزار جرائمهم؛ إذ إن القتيل الذي يقتل من قبل الزعر، كان الناس هم الذين يدفعون غرامته إن لم يستطيعوا تسليم قاتله للسلطة، وكانت حوادث القتل تؤدي إلى جرائم في الحي كقتل زعر الصالحية (والي الصالحية) سنة 903هـ/ 1497م وفرض النائب بدمشق غرامة قدرت بعشرة آلاف دينار فدية للمقتول على أهالي

الحي، إذا لم يسلموا القاتل فاضطر الناس إلى ترك بيوتهم فأمر النائب بفرض غرامة على كل من ينتقل خارج الحي[194].

وكان يقع بين الزعر في الحارات نزاعات عصبية مستمرة من القبائل القيسية واليمنية، وقد أفرد ابن طولون رسالة في هذا الموضوع سماها" محن الزمن بين قيس واليمن "[195]؛ مما يعطي مؤشراً على كثرة وجود هذه الظاهرة في دمشق في أواخر العصر المملوكي، وكانت تتدخل السلطات المملوكية في حل هذه النزاعات التي تقع بين زعر حارات دمشق؛ فقد وقع سنة 926هـ / 1519م خلاف بين زعر الشاغور وحارة المزابل بسبب عداوات سابقة بين القيسية واليمنية؛ إذ إن زعر الشاغور قيسية، وزعر حارة المزابل يمنية.. ولا يوجد إشارات إلى وقوع نزاع بين الزعر والقبائل العربية خارج دمشق إلا في بعض المهام التي يخرج بها الزعر مع التجريدات العسكرية لمناطق حوران التي غالباً ما توجه لها التجريدات العسكرية.

ويلاحظ مما جاء من نصوص عند ابن طولون كثرة خروج القبائل العربية القاطنة خارج دمشق عن طاعة المماليك وقيامهم بالتعرض للقوافل التجارية ومهاجمة الأسواق التجارية في دمشق؛ فقد خرج سنة 895هـ ما يقارب مائتي رجل من عرب بني خالد الذين يقطنون المنطقة الواقعة بين حماة وحلب واجتازوا حمص إلى دمشق، وقاموا بمهاجمة التجار ونهبوا أموالهم، ويعود السبب إلى أن النائب قانصوه خمسمائة[196] قبض على زعيم قبيلة بني خالد قرقماس البدوي[197]، وفي حوادث سنة 906هـ/ 1500م أمرت السلطات المملوكية بتجهيز الأجناد والأمراء لإعلان الحرب على العرب المفارجة خارج دمشق؛ بسبب قيامهم بالتعرض للطرق والحجاج والتجار؛ مما أدى إلى وقوع الظلم على الناس،إلا أن هؤلاء العرب رحلوا عن الطرق[198]. وهاجم عرب مهنا بن مقلد محلة الفوار وتصدى لهم نائب دمشق والمشاة سنة 911هـ/ 1505م[199]، كما قام عرب بني لام[200] بالحصول على جعل من الوفد الذي وصل دمشق في أثناء مرورهم إلى الحسا والقدس حتى أوصلوهم الحسا وتلقاهم نائب القدس[201]. كما وردت سنة 904هـ / 1498م إشارات إلى العشير[202] في

سنة خرج إلى البقاع نائب دمشق وقبض على مقدمهم ناصر الدين بن الحنش مقدم البقاع، كما قبض على من معه من المقدمين: مقدم نابلس خليل بن إسماعيل وخليل بن شبانة وابن الجيوسي، وطلب من كل واحد منهما دفع مائة الف دينار[203]. وفي حوادث سنة 907هـ / 1501م وصل عشير البقاع ومعهم مقدمهم ناصر الدين بن الحنش إلى الميدان الأخضر في دمشق، وخشيت الحارات قيام العشير بمهاجمتهم[204].

علاقة الزعر بالعلماء

شكل العلماء نقطة وصل بين العامة والسلطات المملوكية في كثير من الأحيان إلا أن موقف العلماء – بحسب النصوص الواردة لدى ابن طولون – كان متذبذباً بين الانصياع للسلطات المملوكية والميل إلى تشجيع الزعر على مواجهة وقتل أعوان الظلمة ويقصد بهم المتواطئون من أهالي دمشق مع السلطات الجركسية من خلال فتاوى يصدرونها بإجازة ذلك؛ مما أوقع دمشق في فتنة كبيرة قتل على أثرها ما يقارب ثلاثين شخصاً، ووضع ابن طولون كراسة في ذلك سماها "الذعر في أحوال الزعر، ومحطمهما عدم الجواز، وأنه لا يجوز لأحد إغراؤهم"، وكانت السلطات تعتمد على العلماء في الوساطة والتفاوض وحل الخلافات مع الزعر، وكان بعض القضاة يتعرضون للاعتداء من قبل الزعر في حال كان موقفهم مخالفاً لمصلحة الزعر[205].

الحرامية: تنظيمهم وموقف السلطات المملوكية منهم

تنظيم الحرامية: ظهر هذا التنظيم في دمشق في أواخر العصر المملوكي، وجاءت أخبارهم في يوميات ابن طولون متقطعة أحياناً، ومتصلة أحياناً أخرى، وذلك في السنوات التالية:

890هـ/ 1484م[206]، 894هـ/ 1488م[207]، 895هـ/ 1489م[208]، 896هـ/ 1490م[209]، 900هـ/ 1494م[210]، 902هـ/ 1496م[211]، 906هـ/ 1500م[212]، 910هـ/ 1504م[213]، 912هـ 1506م[214]، 913هـ/ 1507م[215]، 916هـ/ 1510م[216]، 918هـ/ 1512م[217]، 921هـ/ 1515م[218]، 922هـ/ 1516م[219]. والحرامية:

مجموعات من السراق تقوم بسرقة المحالّ والحوانيت التجارية بما فيها من السلع والنقد، كما تهاجم المنازل وتسرق محتوياتها مستخدمين أنواعاً من الأسلحة وأساليب مختلفة، وقد تصدت لهم السلطات المملوكية وأعدمت رجلاً منهم.

موقف السلطات المملوكية من تنظيم الحرامية

كان التجار هم الفئة المستهدفة من قبل الحرامية، لذلك كثر وجود الحرامية في الأسواق التجارية[220] المختلفة في دمشق، ليقوموا بسرقتها في الأوقات المناسبة لهم، وقد ورد أول ذكر للحرامية في مفاكهة الخلان لابن طولون سنة 890هـ/ 1484م عندما قام جماعة منهم بمهاجمة الخواجا شمس الدين بن القونصي وقتلوه، وأخذوا ماله، وقد قتل على يد الحرامي بشير الطواشي، كما هاجموا ابن الحوراني الأقباعي بحارة الأقباعية، وسرقوا أمواله، وقتلوا ثلاثة أفراد كانوا معه. وقد تعرضت حوانيت لتجار نصارى في سوق جقمق للسرقة، وسوق البزورية، وحانوت آخر لناصر الدين الصيرفي، ونهبوا سنة 894هـ/ 1488م حانوت أقمشة السيد محمد بن أبي النجا في ميدان الحصى، مستخدمين النشاب في هجومهم ولم تسلم السلطات المملوكية من اعتداءاتهم؛ فقد هاجموا سنة 895هـ/ 1489م بغتة ديوان نائب السلطة صدقة السامري الذي حاربهم[221]، وهاجموا جهاراً سوق التجار المحجر قبالة سوق الخلعيين مستخدمين النشاب على الرغم من "وجود العسس "في المدينة، وفتح الحرامية أحد عشر دكاناً وسرقوا محتوياتها من أجود الأقمشة، والنقود، وقتلوا جماعة من العسس، فاتجه إليهم نائب الغيبة مرتدياً الملابس العسكرية والزردية، إلا أنه تعرض للرمي بالنشاب فجرح النائب، وقتل ثلاثة من جنوده. وكان عدد الحرامية خمسة وعشرين رجلاً، منهم أربعة خيالة، والباقي مشاة، ويذكر ابن طولون أن الحرامية والسراق غالباً ما يوجدون في الأسواق التجارية،وحي الشويكة،وسوق القصاعين، وحارة الحمزاوية، وغيرها؛ حيث ينهبون أموال التجار مستخدمين الأسلحة، مستعينين بالسلالم في السرقة، فخرج إليهم الحاجب الكبير وقتل منهم رجلاً واحداً سنة 895هـ/ 1489م، وكانت الدولة تقتل وتشنق من تقبض عليه منهم؛ ليختفي أي ذكر للحرامية عند ابن طولون حتى حوادث سنة 900هـ / 1494م[222].

واتبعت السلطات المملوكية عدة إجراءات لمواجهة الحرامية مستخدمة القتل والشنق أحياناً لمن تقبض عليهم منهم، كما لجأت إلى أبناء الحارات بتدريبهم ليكونوا عوناً للدولة على الحرامية؛ ففي سنة 902هـ/ 1496م أمر النائب بتدريب الحارات (تسليحها) للتضييق على الحرامية لكثرتهم، ،وتبليغ السلطات عنهم؛ حيث تلجأ إلى تعذيبهم بالماء والكلس وبالضرب بالمقارع، للإقرار بالسرقة، حتى إن بعضهم يموت تحت التعذيب[223]، كما يلجؤون لتعذيبهم للإقرار على بقية الحرامية، وفي حالة عدم اعترافه بالسرقة وعن بقية الحرامية – على الرغم من الضرب والتعذيب – يخرج الحرامية إلى حبس الدم، حفاة عراة مكشوفي الرأس، وكان بعض الحرامية في حالات استثنائية يطلق سراحهم، وتبرئتهم بشفاعة من كبار رجال الحي لدى السلطات[224].

واستهدف الحرامية الأسواق التجارية بأنواعها سنة 906هـ/ 1500م، ووردت إشارات إلى حرامية السحيمية في حوادث 907هـ/ 1501م[225] وحرامية الدمامرة من بلدة دمر الواقعة غرب دمشق[226]. وكانوا يستهدفون بشكل خاص قيسارية القواسين التي هاجموها ونهبوها سنة 910هـ/ 1504م، بل قتلوا بوابها عثمان بن الصغير، وتكرر ذلك سنة 913هـ/ 1507م، وأخذوا من حوانيتها ثلاثين قوساً، كما سرقوا الأموال والأقمشة من سوق المارستان الخليعي وحانوت الخلعيين[227] كما تعرضت منازل الأغنياء إلى السرقة[228]، وقاموا بمهاجمة المحالّ التجارية والدكاكين في ميدان الحصى سنة 918هـ / 1512م وسرقوا محتوياتها ولم تسلم الزوايا من عبث الحرامية من القتل والسلب والنهب؛ فقد نزلوا زاوية ابن داود[229] التي تعرضت للخراب سنة 917هـ / 1515م، وقتلوا شيخها شمس الدين محمد البانياسي، وكانت السلطات في بعض الأوقات ترفض التشفع للحرامية الذين يقبض عليهم بسبب خطورتهم بل تقبض على هؤلاء الوسطاء وتزج بهم في السجن ولا يطلق سراحهم إلا بعد دفع غرامة تقدر بأربعمائة دينار، وقد قبضت السلطات المملوكية على رأس مدبر الحرامية فراش بوابة ذي الجوشن ويدعى مطر المعصراني، وأعدم توسيطاً سنة 916هـ/ 1510م[230]، كما قبضت على أحد كبار الحرامية ويدعى مسلم الحموي العاتكي

سنة 918هـ / 1512م[231]، وفي سنة 922هـ/ 1516م قبضت السلطات المملوكية على كبير الحرامية واسمه زغيب على باب المنازل فتخوزق[232].

وزادت تعديات الحرامية بعد سنة 923هـ/ 1517م؛ إذ قبضت السلطات على طائفة من الأكراد الأغراب بدمشق في محلة قبر عاتكة[233] لاتهامهم بأنهم حرامية يكثر نشاطهم ليلاً بدمشق ثم أطلق سراحهم[234]، وبسبب تعديات هؤلاء الحرامية في دمشق وضواحيها - وخاصة الصالحية التي يكثر بها الحرامية - أصدر النائب أمراً بإخلاء بيوت الصالحية من أجل إقامته وإقامة الأمراء المماليك بها لمراقبة أحياء الصالحية التي يكثر فيها وجود الحرامية وليسهل على السلطات القبض عليهم وسجنهم، وبقصد "التضييق على الحرامية التي تؤذي أهل الصالحية ظناً أنهم جماعة الزعر الهاربون"[235] ولتنفيذ ذلك طلب نائب دمشق من مقدمي الصالحية وهم: عمر بن العزقي، وابن يوسف وابن شيخ القطن، وبحضرة الأمين بن عبادة - التعاون مع السلطات المملوكية ومساعدتهم في القبض على الحرامية الموجودين في الصالحية؛ "لأنهم يألفون الصالحية لدفعهم في الترسيم"[236]، كما اتخذ النائب إجراءات عملية لمواجهة الحرامية؛ حيث أمر ببناء البوابات خارج دمشق مثل بوابة شرقي وغربي جامع تنكز[237]، وقبلي الحمام الناصري، وشمالي جامع يلبغا[238]، وقبلي الجامع بسوق ساروجا، وشمالي الجامع الجراح[239]، والهدف من ذلك هو الحد من نشاط الحرامية الذين كثرت تعدياتهم في دمشق، وقال النائب: "أنا ضيقت عليهم البرية، وقصدي أن أفعل ذلك بدمشق"[240].

وبسبب سهولة الاتصال وكثرة انتقال الأجناد بين مصر والشام ظهر نشاط للحرافيش في دمشق، وقد أطلق المؤرخون في بداية العصر المملوكي الثاني لقب الحرافيش والعوام والزعر على العامة في مصر، خصوصاً الحرفيين، وهناك من عرفهم بأنهم الطبقة العاطلة عن العمل، ووجد تعريف آخر للحرافيش بأن الحرفوش هو الشخص الذميم الخَلق والخُلق، وهم العمال والصُّناع والباعة والسوقَة..... والمعدمون وأشباه المعدمين وحملة المشاعل في الموالد والمواكب، وقد وصفهم الرحالة العربي الشهير ابن بطوطة بأنهم طائفة كبيرة من

أهل الصلابة[241]، كان لهم شأن كبير في عهد المماليك؛ فهم يمثلون قوة وسطوة يخشاها السلاطين والأمراء؛ لأنهم يشكلون الغالبية العظمى من أهل البلاد المعدمين، وكان الملوك والأمراء يستعينون بهم في فض النزاعات والخلافات التي كانت تدور بينهم، ومن أمثلة ذلك ما ذكره صاحب النجوم الزاهرة حول الفتنة[242] التي وقعت في عهد الظاهر برقوق (784–791هـ/ 1383–1389م) سنة 790هـ/ 1388م، بينه وبين أعدائه: يلبغا الناصري نائب حلب ومنطاش نائب ملطية، وانتهت بعزل السلطان برقوق ونفيه إلى قلعة الكرك، إلا أن الأمور لم تهدأ فوقع صراع آخر بين الأمير تمربغا المدعو منطاش نائب ملطية[243]، ويلبغا الناصري. . . . . فأخذ الأمير (منطاش) يتقرب للعامة بكل فئاتهم، ويتودد إليهم ويوزع الأموال والذهب عليهم، ويقول لهم أنا واحد منكم وأنتم إخواننا وأصحابنا حتى تغلب بهم على خصمه اللدود الأمير (يلبغا الناصري)، وعندما تيقن منطاش من انتصاره على خصمه، أباح للعامة نهب بيوت أعدائه وأموالهم. يقول ابن تغري بردي بذلك: "وتفرق الزعر والعامة إلى بيوت المنهزمين، فنهبوا وأخذوا ما قدروا عليه"[244]، ويشير ابن تغري بردي إلى تشغب الزعر عدة مرات في حوادث خروج السلطان برقوق من سجنه بالكرك وفي حوادث سنة 792هـ/ 1389م[245].

وفي نهاية العصر المملوكي ساد لقب الحرافيش واستمر على جميع العامة حتى نهاية العصر العثماني. وقد وردت كلمة الحرافيش عند ابن طولون في ثلاثة مواضع لسنوات 885هـ/ 1480م[246] و 895هـ/ 1489م[247] 904هـ/ 1498م[248]، في كتابه مفاكهة الخلان، ومرة واحدة في كتابه الآخر إعلام الورى[249]، وتعكس هذه الإشارات استقبال الحرافيش لكبار السلطة وبخاصة القادمون من مصر، مما يبين الارتباط بين زعر دمشق وحرافيش مصر؛ حيث كان حرافيش مصر يتنقلون من مصر إلى دمشق خاصة في ظل اضطراب الأوضاع السياسية، واستغلال بعض أمراء المماليك لمثل هذه الفئة لتحقيق مصالحها. وفي سنة 885هـ / 1480م لبس القاضي نجم الدين ابن مفلح الحنبلي خلعة من سلطان في المرج الشامي، ومر على أحياء دمشق السبعة ومسجد القصب، ومعه القاضيان:

الحنفي ابن عربشاه[250] والمالكي المريني وأمامهم الحرافيش[251]، وفي سنة 895هـ / 1489م دخل من مصر إلى دمشق ابن شعبان سلطان الحرافيش. . . . . والأوباش حوله والصفاقات والطبول تضرب بين يديه والأعلام الصفر عليه، ثم أوصلوه إلى بيته[252]، واستقبلت زوجة سلطان الحرافيش بحفاوة أيضاً من قبل النساء، "ثم رجعوا إلى تلقي زوجته أيضاً بالصفاقات والطبول وخرج إليها نحو مائتي امرأة بخرق صفر ملفوفة على عصائبهن وهن ركوب حولها إلى أن وصلت إلى بيتها. . . . . "، وقيل إن السلطان أخذ منه مالاً بعد[253]، وفي سنة 904هـ/ 1498م دخل من مصر إلى دمشق خاصكي ماراً إلى البلاد الحلبية ومعه خلعة الأمير على دولات[254]، واستقبله يومئذ أرباب الدولة والقلعة والحرافيش من دمشق على غير العادة[255]، ورافق شيخ المشايخ سلطان الحرافيش السلطان قانصوه الغوري[256] سنة 922هـ/ 1516م بجنوده فكان يسير أمام جيش السلطان لما دخل دمشق[257]، وثبت من النصوص السابقة ارتباط حرافيش دمشق بحرافيش مصر؛ إذ كان يلقب كبير الحرافيش بـ"سلطان الحرافيش"، تجرى له مراسم استقبال خاصة؛ حيث يلتف حوله الأوباش، وتضرب الطبول ويرفع في موكبه الأعلام الصفراء. . . . . كما يسهم الحرافيش في استقبال كبار المماليك في دمشق ولم ترد أية إشارات أخرى تبين نشاطاتهم في دمشق.

النتائج

- إن التنظيمات الاجتماعية التي ظهرت في دمشق - وخاصة الزعر - هي امتداد لحركة الشطار والعيارين والأحداث التي سبق أن ظهرت في العراق وإن اختلفت عنهم جميعاً منظمة الفتوة التي كانت أكثر تنظيماً، وأقل عنفاً، على الرغم من أنها تشكلت من الشطار والعيارين إلا أن الدولة تمكنت من توجيههم لصالحها والاستفادة من الطاقات الشبابية لخدمتها، وساعد على ذلك أن للفتوة نظاماً يسيرون عليه وضعه الخليفة العباسي الناصر.
- إن ظهور التنظيمات الاجتماعية في دمشق - وأهمها تنظيم الزعر في أواخر العصر المملوكي - يعود لعدة أسباب، تكمن في تراجع قبضة الدولة سياسياً

وعسكرياً واقتصادياً، فضلاً عن سياستها في فرض الضرائب الباهظة على السكان وانتشار الظلم، وكثرة تعديات الأجناد عليهم، وما يعيثونه في دمشق من فساد، وفرضهم الرمي والطرح وتكليف الناس فوق طاقتهم، وكانت هذه عوامل رئيسة لظهور تنظيم الزعر في الأحياء وحارات دمشق المتعددة.

- يلاحظ من خلال البحث أن تنظيم الزعر شكل قوة ضاغطة على المماليك في بعض الأحيان، وهذا من خلال انصياع السلطات المملوكية لشروط الزعر في أثناء إرسال الدولة الوفود لهم لتوقف أعمال الشغب في دمشق.

- استفادت السلطات المملوكية الجركسية في دمشق من تنظيم الزعر فعمدت إلى تسليحهم واستعراضهم أمامها للاستفادة منهم في التجريدات العسكرية التي توجهها خارج دمشق، وكذلك اتخذ منهم بعض نواب دمشق وأمرائها حرساً وأجناداً غير منظمين ليتقوى بهم على أعدائه أثناء الحاجة لذلك، وأحياناً كانت الدولة تغض الطرف عن عبثهم ومواجهتهم في كثير من الأحيان؛ كونهم تنظيماً مسلحاً، ينتشر في جميع أنحاء دمشق وضواحيها؛ فتلجأ إلى مفاوضتهم وإطلاق مساجينهم.

- على الرغم من أن أعداد الزعر كبير؛ لأنه كان يضم مختلف أعمار الشباب في أحياء دمشق وحاراتها، فإنه لم ترد إشارات إلى توحيدهم في تنظيم موحد، وإن وجد يكن بين الزعر في حارتين لا أكثر، وكان لكل حارة تنظيمها وقائدها من الزعر، بل غالباً ما تقع الخلافات والقتال بالأسلحة بين الزعر في الحارات؛ مما يسبب مشكلات لسكان الحارات بسبب تكليفهم دفع دية القتيل رغماً عنهم، وإلا يتعرضون لإجراءات مشددة من السلطات في حالة رفضهم أو تأخيرهم في دفع ما على زعر الحارة من مستحقات.

- إن وجود تنظيمات الزعر المسلحة وما تقوم به من أعمال الشغب والعبث والفساد في حارات دمشق من جهة، وحاجة السلطات المملوكية إلى الأموال لتغطية نفقاتها ونفقات الأجناد والتجريدات العسكرية من جهة ثانية، مبرراً لدى السلطات بفرض الضرائب الباهظة على زعر الحارات.

- وجود تنظيم اجتماعي آخر في دمشق في أواخر العصر المملوكي متزامناً مع تنظيم الزعر هو تنظيم الحرامية الذين كانوا يقومون بسرقة المحالّ التجارية وبيوت الأغنياء والمترفين في دمشق على شكل عصابات، ويظهرون أفراداً وجماعات، وقد يقترن نشاطهم هذا مع تنظيم الزعر بأن الحرامية هم من الزعر فجميعهم غوغائيون.
- إن تنظيم الحرافيش لم يكن موطنه دمشق بل مصر وإن كان المؤرخ ابن تغري بردي يطلق الزعر على الحرافيش في مصر، وكان الحرافيش على اتصال مع دمشق في أواخر العصر المملوكي؛ حيث كثر وجودهم فيها برفقة الأجناد المصرية الموجودة في دمشق بسبب اختلال الأوضاع السياسية والعسكرية في مصر والشام، وفي زياراتهم لدمشق يجرى لهم استقبال حافل ومراسم خاصة بهم، وكانت إشارات ابن طولون لهم نادرة، وهذا يوضح أن تنظيم الحرافيش مرتبط في مصر وإن كان تنظيم كل من الحرافيش والزعر واحداً من حيث الأهداف، وينشطون وقت الاضطرابات.

الهوامش والمراجع

(1) زكار، سهيل: "دمشق أقدم مدينة في التاريخ"، **ندوة آذار الفكرية في مكتبة الأسد**، دمشق، 1991. http://www.discover-syria.com/news

(2) شمس الدين محمد بن علي بن طولون (ت 953هـ/ 1546م): **الفلك المشحون في أحوال ابن طولون** (سيرة ذاتية للمؤلف)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الطبعة الأولى، بيروت: دار ابن حزم، 1996 م، ص27. ابن طولون: **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، حققه وكتب له المقدمة والحواشي والفهارس: محمد مصطفى، قسمان، قسم 2، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة: الدار المصرية، 1962–1964، ص 8 – 9.

(3) هو يوسف بن محمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي القاضي جمال الدين، فوض إليه تاج الدين بن عرب شاه تولي نيابة قاضي القضاة الحنفية سنة 885 هـ / 1480م، توفي سنة937هـ/ 1530م بالصالحية انظر: الحنبلي، عبدالحي بن عماد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج8، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص227. الغزي، نجم الدين محمد بن محمد (ت1061هـ/ 1650م): **الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة**، وضع حواشيه: خالد منصور، منشورات: محمد علي بيضون،ج2، بيروت: دار الكتب العلمية، ص257.

(4) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص 9 – 10.

(5) العلم الإلهي: هو العلم الذي يبحث فيه عن الموجودات من حيث هي الموجودات، وموضوعه الموجود من حيث هو، وغاية تحصيل الاعتقادات الحقة والتصورات المطابقة لتحصيل السعادة الأبدية والسيادة السرمدية. ويعبر عنه بـ(الإلهي) لاشتماله على علم الربوبية وبـ(العلم الكلي) لعمومه وشموله لكليات الموجودات، وبـ (علم ما بعد الطبيعة) لتجرد موضوعه عن المواد ولواحقها. حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، بيروت: دار إحياء التراث، د.ت.ج1، ص 159– 160.

(6) علم البنكامات: بكام لفظ فارسي معرب، وهو العلم الذي يعنى بالصور والأشكال المصنوعة لمعرفة الساعات المستوية والزمانية؛ أي: أنه علم يعُرف به كيفية اتخاذ الالآت التي يقدر بها الزمان، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج1، ص255.

(7) ابن طولون: "ضرب الحوطة على جميع الغوطة"، **مجلة المجمع العلمي العربي**، ج3–ج4، مج21، شهر ربيع الثاني وجمادى الأولى، 1365هـ/ آذار– نيسان 1946م، نشرها وعلق عليها: محمد أسعد أطلس، ص338، ابن طولون: **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، تحقيق: محمد أحمد دهمان، ط2، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1980، ص15.

(8) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص12، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ج2، ص51–53.

(9) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص13.

(10) المعيد هو: الأستاذ الثاني للطالب، وقد يكون أكثر علماً من المدرس ولكن الحظ لم يساعده، وعمل المعيد أن يحضر الدرس مع أستاذه، ويعيد للطلبة الدرس وفق ما قرره أستاذه لهم؛ لذلك يكون تقريره الثاني للدرس موافقاً لتقرير أستاذه السابق، وقد يقرر المعيد الدرس أولاً ثم يقره أستاذه ثانياً. القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ص24 (مقدمة المحقق).

(11) تفرقة الربعات: صندوق مربع يوضع به القرآن الكريم حالة كونه ثلاثين جزءاً، وحين القراءة يوزع على الحاضرين فيقرأ كل إنسان جزءاً من الثلاثين. القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ص28، مقدمة المحقق، هامش 2.

(12) أن يكون صاحب الوظيفة مشتغلاً بالفقه أو متصفاً به سواء طالب علم مبتدئاً أو فقيهاً عالماً. القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ص23 –24 (مقدمة المحقق)، لفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون، ص66، هامش 1.

(13) مشيخة الزوايا: تكون في الخوانق والربط، ويشترط لصاحبها الاستقامة في الأخلاق، وأن يكون تقياً، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ص23 (مقدمة المحقق).

(14) الشهادة: هو أن يكون للمدرسة بنص الواقف شاهد أو أكثر وهو كالمراقب أو نائبه؛ فيكون إذا باع أو اشترى أو أجر أو أعطى بحضوره ويضع شهادته على الصكوك والعهود. الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص64، هامش 2.

(15) كتابة الغيبة: هو أن يخصص موظف من أصل شرط الواقف ليقوم بكتابة اسم من يتخلف عن

الحضور سواء كان مدرساً أم طالب علم. القلائد الجوهرية في أخبار الصالحية، ص21 (مقدمة المحقق) الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص65، هامش4.

(16) الناظر: بمنزلة المدير العام للمدرسة يشرف على جميع شؤونها الإدارية والمالية، بخصم رواتب المتخلفين وزيادة رواتبهم وقت الغلة، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ص23 (مقدمة المحقق).

(17) هي وكالة الناظر لمن يثق به ويراه أهلاً للنظارة، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ص22 (مقدمة المحقق).

(18) تعني الإشراف على أمور المدرسة، ابن طولون، الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص64، هامش 3.

(19) تقع المدرسة بحارة القصاعين، أنشأتها خطبلسي (فاطمة خاتون بنت كوكجا) سنة 593هـ/ 1196م النعيمي، عبد القادر: **الدارس في تاريخ المدارس**، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990، ص434-437.

(20) بنيت مكان دار العفيفي التي كانت تعرف بدار أيوب والد صلاح الدين الأيوبي، وبني مكانها المدرسة والتربة الظاهرية (الملك الظاهر)، وهي مقابلة للمدرسة الجاروخية وشرقي المدرسة العادلية الكبرى، الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص263.

(21) ذكر محمد دهمان في مقدمة تحقيقه كتابين لابن طولون، هما: القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية وإعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، وكذلك محقق كتاب السائلين عن كتب سيد المرسلين، ومحقق كتاب: الأئمة الاثني عشرية - أن عدد مؤلفات ابن طولون بلغت 746 كتاباً. انظر البستاني، فؤاد إفرام، مادة: **ابن طولون، محمد**، المجلد الثالث، بيروت: دائرة المعارف لبنان، 1960، ص318.

(22) ابن طولون، **الفلك المشحون في أحوال محمد ابن طولون**، (مقدمة المحقق)، ص. 22 10

(23) سميت بالفتنة الغزالية نسبة إلى الأمير جان بردي الغزالي نائب دمشق للسلطان الأشرف قانصوه الغوري، ابن طولون: **الفلك المشحون في أحوال محمد ابن طولون**، حاشية 1، ص13، للتفصيل انظر: ابن أجأ، محمد بن محمود الحلبي ت 881هـ / 1476م: **العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدودار**، صنعه: محمد أحمد دهمان، دمشق: دار الفكر، 1986، ص 302-310.

(24) الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص85، رقم الكتاب 147.

(25) الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص85- 86، رقم الكتاب 247.

(26) الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص85- 86، رقم الكتاب 248.

(27) الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص 111، رقم الكتاب 411.

(28) الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص113، رقم الكتاب 429.

(29) الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص113، رقم الكتاب 431.

(30) الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص121، الأرقام: (500 –501).

(31) الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص93، رقم الكتاب 242.

(32) الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص132، رقم الكتاب (601).

(33) الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، بلغ عدد الكتب المطبوعة حتى الآن 39 كتاباً، هي: **الأحاديث المئة المشتملة على مئة نسبة إلى الصنائع**، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني. **الأربعين في فضل الرحمة والراحمين**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. **إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين** تحقيق: محمود الأرناؤوط. **إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، تحقيق: محمد أحمد دهمان. **إنباء الأمراء بأنباء الوزراء**، تحقيق: مهنا حمد المهنا. **بسط سامع المسامر في أخبار مجنون بني عامر**، شرح وتحقيق: عبد المتعال الصعيدي. **تأييد الإنكار لإتيان الطيور ونحوها في الأوكار**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. **تبييض الطِّرس بما ورد في السَّمَر ليالي العرس، تشييد الاختيار لتحريم الطبل والمزمار**، تحقيق: مجدي فتحي السيد. **التمتع بالإقران بين تراجم الشيوخ والأقران**، تحقيق: صلاح الدين خليل الشيباني. "تحفة الطالبين في إعراب قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56]" تحقيق: زيّان أحمد الحاج إبراهيم. **التحرير المرسخ في أحوال البرزخ**، تحقيق: إبراهيم حمدي. **الترشيح لبيان صلاة التسبيح**، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني. **الثغر البسَّام في ذكر من وليَ قضاء الشام**، تحقيق: د.صلاح الدين المنجد. **دلالة الشكل على كمية الأكل**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. **ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر**، تحقيق: صلاح الدين الموصلي. **رسالة في تفسير قوله تعالى**: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: 120]: تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. **الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشرية عند الإمامية**، تحقيق: صلاح الدين المنجد. **الشذرة في الأحاديث المشتهرة**، تحقيق: كمال بن بسيوني زغلول. **شرح ابن طولون على الألفية**، تحقيق: د. عبد الحميد جاسم محمد الفياض الكبيسي. **الشمعة المُضِيَّة في أخبار القلعة الدمشقية**، طبع بإشراف: حسام الدين القدسي. "ضرب الحُوطة على جميع الغوطة"، تحقيق: محمد أسعد طلس، **مجلة المجمع**، دمشق 21/ سنة 1946. **عجب الدهر في تذييل من ملك مصر**، تحقيق: صلاح الدين المنجد. **العقود الدرية في الأمراء المصرية. عنوان الرسائل إلى معرفة الأوائل**، تحقيق: العمروي. **غاية البيان في ترجمة الشيخ أرسلان الدمشقي**، تحقيق: أحمد الإيبش. **فص الخواتم فيما قيل في الولائم**، تحقيق: نزار أباظة. **الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. **قرة العيون في أخبار باب جيرون**، تحقيق: صلاح الدين المنجد. **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، تحقيق: محمد أحمد دهمان. **قيد الشريد من أخبار يزيد**، تحقيق: محمد زينهم عزب. **اللمعات البرقية في النكت التاريخية**، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف. **مرشد المحتار إلى خصائص المختار**، تحقيق: بهاء محمد الشاهد. **المسائل الملقبات في علم النحو**، تحقيق: د. عبد الفتاح السيد سليم. **المعزّة فيما قيل في المزّة**، تحقيق: محمد عمر حمادة. **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور. **المنهل**

الروي في الطب النبوي تحقيق: زهير عثمان الجعيد. **نقد الطالب لزغل المناصب**، تحقيق: محمد أحمد دهمان، وخالد محمد دهمان. **وبل الغمام فيمن زوجه النبي، عليه السلام**، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني.

(34) القلائد الجوهرية في أخبار الصالحية، ص18.

(35) كتاب مطبوع بعنوان (**أمراء مصر في الإسلام**)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، بيروت: دار الكتاب الجديد، 1384 هـ، ص89، الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص119. هامش 3.

(36) اختصره المؤلف ابن طولون باسم (أرج النسيم في ترجمة سيدي تميم) ويقصد تميم الداري، الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص126وهامش رقم2، رقم الكتاب 555.

(37) أورد ابن طولون في كتابه: الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، جميع مؤلفاته بمختلف أنواع العلوم وقد رتبها على حروف الهجاء. انظر هذه المؤلفات، ص71–142، وقد وضع المحقق: محمد خير رمضان ملحقاً بقائمة المؤلفات الأخرى التي لم يوردها ابن طولون في كتابه: الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص143–148.

(38) ابن طولون، **الشذرات الذهبية في تراجم الأئمة الاثني عشر**، تحقيق: صلاح الدين المنجد، بيروت: دار صادر (سلسلة نوادر المخطوطات) أصدره المحقق بعنوان الأئمة الاثنا عشر انظر: (مقدمة المحقق) ص10– 13، الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص111، وتعليق المحقق محمد خير رمضان في الصفحة نفسها: هامش2.

(39) ابن طولون: **إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، تحقيق: محمد أحمد دهمان، ط2، دمشق: دار الفكر، 1984م، ص 11 – 12، 21– 22.

(40) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص 7، (مقدمة المحقق).

(41) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، قسم 2.

(42) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص14، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص 19 – 20 (مقدمة المحقق).

(43) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 14.

(44) تاريخ الأمم والملوك، ج8، ص466–468، المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، مصر: مطبعة السعادة، د.ت، ج3، ص409.

(45) زيدان، جرجي: **تاريخ التمدن الإسلامي**، ج5، مصر: مطبعة الهلال، 1931، ص45.

(46) عمر فوزي، فاروق: **الخلافة العباسية (السقوط والانهيار)**، ج2، عمان: دار الشروق، 2003، ص 143.

(47) ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، الطبعة الأولى، ج7، مصر (أحداث سنة 361هـ / 971م)، ص 45.

(48) التوحيدي، أبو حيان: **الإمتاع والمؤانسة**، تحقيق: أحمد أمين، بيروت: دار الحياة، د.ت، ج3 ص ص159– 160.

(49) العش، يوسف: **تاريخ عصر الخلافة العباسية**، دمشق: دار الفكر، الطبعة الأولى، 1982م، ص197

(50) الخلافة العباسية (السقوط والانهيار)، ج2، ص143.

(51) النجار محمد رجب: "حكايات الشطار والعيارين: حكايات في التراث العربي"، الكويت: **سلسلة عالم المعرفة**، عدد54، 1981، ص14.

(52) الكامل في التاريخ، ج9، ص 591–592.

(53) الكامل في التاريخ، ج11، ص60.

(54) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص411، 403–412.

(55) تاريخ الأمم والملوك، ج 2، ص877.

(56) الكامل في التاريخ، ص222؛ البانواتية: يعني الشطار. انظر الثعالبي، عبدالملك النيسابوري: **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م، ج 3 / 333. الدوري، عبد العزيز: **تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1995م، ص 68؛ بدري، محمد فهد: **العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري**، مطبعة الإرشاد، 1967، ص 389، النجار، حكايات الشطار والعيارين: حكايات في التراث العربي، ص15.

(57) **تاريخ الرسل والملوك**، القاهرة: الطبعة الحسينية، 1336هـ، ج 10، ص 181.

(58) حكايات الشطار والعيارين حكايات في التراث العربي، ص15.

(59) التنوخي، القاضي المحسن بن علي (ت 484هـ/) **الفرج بعد الشدة**، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت: دار صادر، 1978م، ج2، ص331.

(60) مسكويه، أبو علي، أحمد بن محمد، **تجارب الأمم**، مصر، شركة التمدن الصناعي، 1915م، ج2، ص51.

(61) الفرج بعد الشدة، ج2، ص333.

(62) حكايات الشطار والعيارين: حكايات في التراث العربي، ص6.

(63) عن تنظيم الفتوة انظر: ابن المعمار، ابو عبدالله البغدادي الحنبلي: **الفتوة**، تقديم: مصطفى جواد، بغداد: مطبعة شفيق، ط1، 1958م، ص 152–154، الهاشم، صالح مهدي: **فن الاتصالات زمن الخليفة الناصر لدين الله العباسي**، 28 مايو، 2011،
https://ar-ar.facebook.com/note.php?note_id=10150615291395324

(64) فن الاتصالات زمن الخليفة الناصر لدين الله العباسي،
https://ar(ar.facebook.com/note.php?note_id=10150615291395324

(65) **العامة في بغداد في أواخر العصر العباسي والعهد الإيلخاني**.
http://library.islamweb.net/newlibrary/display_umma.php?lang=&BabId=1&ChapterId.

(66) سهيل زكار: "دمشق أقدم مدينة في التاريخ"، **ندوة آذار الفكرية في مكتبة الأسد**، دمشق، سوريا، http://www.discover-ser a.com/news/7281991

(67) برغوت، عبدالودود: "جوانب اجتماعية من تاريخ دمشق في القرن الخامس عشر من مخطوطة أحمد بن أحمد بن طوق"، **المؤتمر الدولي، تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر**، الجامعة الأردنية، الدار المتحدة للنشر، عمان، ص400-401.

(68) "جوانب اجتماعية من تاريخ دمشق في القرن الخامس عشر من مخطوطة أحمد بن أحمد بن طوق"، ص 402- 403.

(69) هذه الأبواب هي بالترتيب من الجنوب إلى الشرق ثم شمالاً وغرباً: الباب الصغير، باب كيسان، الشرقي، توما، السلامة، الفراديس، الفرج، الجديد، الجناز، الجابية: انظر ابن طولون، محمد بن علي: **الشمعة المضيئة في أخبار القلعة الدمشقية**، دمشق: مطبعة الترقي. ،د.ت، ص58؛ الشمعة المضيئة في أخبار القلعة الدمشقية، ص14-15 مخطوط في المكتبة التيمورية، رقم 371. http://wqf.me/2015/08/31/
https://ia801508.us.archive.org/zipview.php?zip=/9/items/M-tymoriyah-TAREK/2058.zip

ابن بطوطة، محمد ابن إبراهيم: **رحلة ابن بطوطة**، بيروت: دار صادر، 1960م، ص 67؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، القاهرة: مطبعة دار الكتب، 1956م، 1930-1956؛ج12 ص239، ابن إياس، محمد بن أحمد: **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، مطبعة بولاق 1311 هـ، ص232.

(70) ضومط، أنطوان: **جوانب من الحياة الاجتماعية في دمشق المملوكية**، بيروت: الجامعة اللبنانية، ص 2، 17.

(71) لابيدوس، إيرا مارفين: **مدن الشام في عصر المماليك**، نقله إلى العربية: سهيل زكار، دمشق: دار حلة دمشق، 1985، ص 81، 142، جوانب من الحياة الاجتماعية في دمشق المملوكية، ص3.

(72) ابن جبير، حسين: **رحلة ابن جبير**، بيروت: دار صادر، 1961م، ص 238.

(73) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ق1، ص 227، 249، 309، 363، 399؛ مدن الشام في عصر المماليك، ص 152.

(74) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص 277، 234، 267، 363، 287، 366، 377.

(75) مدن الشام في عصر المماليك، ص 145.

(76) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 89، ابن طولون، "ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر"، **مجلة المشرق**، 1937، ص. 33.

(77) الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص 13، 91، 94، 119، 132، 165، ج2: 178، 261، 252، 317، 307، 178، ج2، ص184.

(78) السقطية، سوق يباع فيه الملابس المستعملة، بكري، محمد: "صورة دمشق العمرانية في العصر المملوكي"، **جريدة الحياة**، آذار، 2015 (موقع اللغة والثقافة العربية).

(79) تقع غربي الشامية البرانية،ويوجد بها التربة البرسبائية الناصرية، ويتبع لها جامع يلتصق بها شيدهما الحاجب الكبير برسباي الناصري ت852هـ/ 1448م، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص184.

(80) اسم يطلق على هضبة تقع غربي دمشق ويفصلها عن جبل قاسيون عقبة دمر، الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، ج2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ص762، وتشتهر الربوة بمتنزهاتها، يوجد بها أربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة وبها برجان للحمام، ضرب الحوطة على جميع الغوطة، ص157، 340، هامش 42-43.

(81) العمري، ابن فضل الله: **مسالك الأبصار في ممالك الأبصار**، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، بيروت: المركز الإسلامي للبحوث، 1986م، ص 181، ذكر ابن طولون في كتابه: القلائد الجوهرية في أخبار الصالحية: أسماء دور الحديث في الصالحية بالتفصيل، وهي: دار الحديث الضيائية المحمدية وتسمى (دار السنة)، ودار الحديث العالمة بنتها: أم اللطيف العالمة بنت شيخ الإسلام الشيرازي للحنابلة، ودار الحديث القلانسية، ودار الحديث النظامية، ودار الحديث الناصرية، ودار الحديث الأشرفية، ابن طولون، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ص 143، 140، 130، 155، 147، 145.

(82) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج12، ص 239.

(83) المقريزي: **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، نشره: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة، 1940م، ص ص 72-73.

(84) جوانب من الحياة الاجتماعية في دمشق المملوكية، ص 6.

(85) انظر عن المدارس ودور القرآن والحديث التي نشأت في دمشق بالتفصيل كتاب: الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ج2.

(86) الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ج2، وجد في دمشق ثلاثمائة وأربعون مسجداً وثلاثة وعشرون رباطاً. صورة دمشق العمرانية في العصر المملوكي.

(87) منها بيمارستان القيمري الذي يقع في وسط الصالحية، كان موجوداً زمن المؤلف، قال: "وقد رأينا ذلك"، القلائد الجوهرية في أخبار الصالحية، قسم 2، ص346-348، والبيمارستان الصغير أو العتيق، وباب البريد (الدقاقي) والبيمارستان النوري الكبير، كرد علي، محمد: **خطط الشام**، دمشق: مطبعة الترقي، ج2، مطبعة المفيد 1927 -1928،ج6، ص161.

(88) مدن الشام في عصر المماليك، ص 137، جوانب من الحياة الاجتماعية في دمشق المملوكية، ص18.

(89) عبر الطبري عن العامة بأنهم (أهل السفه والخفة)، والدهماء. . . . والقصابون والبقالون، والكناس. الطبري، محمد بن جرير: **تاريخ الأمم والملوك**، ج8، القاهرة: دار المعارف، 1969، ص 448 -449، جوانب من الحياة الاجتماعية في دمشق المملوكية، ص 6.

(90) الصفدي، خليل بن آيبك: **نكت الهميان في نكت العميان**، القاهرة: المكتبة الجمالية، 1911م ص 10، ضومط، **جوانب من الحياة الاجتماعية في دمشق المملوكية**، ص18.

(91) مدن الشام في عصر المماليك، ص 138.

(92) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج2، ص 10، ج1، ص 115، 124، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 118. الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص244، مدن الشام في عصر المماليك، ص 157.

(93) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص 3، 166، 168، 181، 195، 191، 204، 261– 262، انظر: إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 108– 127، 183.

(94) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص212، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 51.

(95) وجدت إشارت لمسميات من حارات دمشق، وهي: حارة ابن مسعود، وحارة الأفتريس، وحارة البلاطة، وحارة جوبان، وحارة درب الحجر، وحارة الركنية، وحارة السكر، والسليماني، والسودان، والعبيد، والشهرزورية، والغرباء، والفلاحين، والقباقب والقصاعين والقصاصية، والكوريين والميدان، وحارة الحوارنة، وحارة الخاطب، وحارة العجم: انظر: النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج1: ،42، 327، 16، 118، 115، 238، 331، 313، 283، 434، 460، 484، ج2 ص 199، 176، 150، 117، 239، 321، 283، 258، 281، 279، 276. وحارة الحياك الشرقية في الصالحية، وحارة الحياك الغربية في الصالحية، وحارة التغالبة، وحارة الشعارة، وحارة بطاح في الصالحية، وحارة البلاقنة، وحارة بيت الحارة، وحارة أبو السباع، ، وحارة برنية، وحارة بطاح، وحارة البقاعين، وحارة جسر البط، وحارة الدير، وحارة السكة، وحارة سوق ساروجا، وحارة قناة البريدي، وحارة الشبلية، وحارة العقبة، وحارة العميان، وحارة المتاولة، وحارة المراودة، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية انظر: قسم 1 ص ص 356، 357، 358 قسم 2 ص 215، 272، 351، 350، 355، 356، وحارة الشالق (الشالة)، وحارة قولي، وحارة الحوارنة، خير، صفوح: **مدينة دمشق، دراسات في جغرافية المدن**، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، 1969، ص159، 179.

(96) الغوطة: اسم مشتق من الغائط وهو المطمئن من الأرض وجمعه غيطان وأغواط، تقع الغوطة شمالي شرقي دمشق، تبلغ مساحتها أربعون ألفاً وستمائة هكتار؛ أي خمسة وستين ألف فدان، والفدان ست دونمات. تشتهر بضياعها وبساتينها التي وصلت إلى خمسة آلاف وثلاثمائة وخمسة وأربعين بستاناً، وخمسمائة وخمسين كرماً، وقد شبه ابن طولون ضياعها بالمدن مثل: المزة وداريا وحرستا ودمر وبلاس وبيت لاها وعقربا، "ضرب الحوطة على جميع الغوطة"، ص152، وقد بلغ عدد القرى الواقعة بالغوطة سبعين قرية أوردها في كتابه ضرب الحوطة على جميع الغوطة، وأحصى الناشر محمد أسعد أطلس عدد القرى بثمان

وستين قرية، دُرس منها على وقت المؤلف، انظر: ضرب الحوطة على جميع الغوطة، هامش 1، ص244.

(97) شيد به أحد أمراء دمشق – واسمه: الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك – جامعاً ألصقه بتربته التي أنشأها في جسر الفجل بميدان الحصى. وأيضاً: تربة الأمير بدر الدين محمد بن الوزيري (من الأمراء المقدمين)، وأنشأ جمال الدولة خليل بن زويزان تربته في ميدان الحصى سنة 628هـ،وأوقف ثلث أمواله على العلماء والقراء في ميدان الحصى. وبه التربة القراجية التي تنسب للأمير زين الدين قراجا أستاذ دار الأفرم. الدارس في تاريخ المدارس، ج2 ص 82، 182، 192، 209، 242.

(98) ابن منظور: **لسان العرب**، أعاد بناءه، يوسف ضباط، ج4، بيروت: دار لسان العرب، ص 622.

(99) عبد الودود، يوسف: **جوانب اجتماعية من تاريخ دمشق في ق 15م**، نقلاً عن مخطوطة أحمد بن طوق، ت 915 هـ/ 1509م،الحوليات الأثرية السورية، 1973م،ج23، ج2، ص 191.

(100) مدن إسلامية في عهد المماليك، ص 256.

(101) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 66، هي أول قرى الغوطة، وهي أم البلاد وعروس الشام، تقع الصالحية على سفوح جبل قاسيون المطلة على دمشق، هاجر إليها المقادسة في القرن السادس الهجري، فراراً بدينهم من الصليبيين، فانتشرت بها دور العلم: الحديث والمدارس والزوايا والخانقاوات والرباطات والمساجد والجوامع، وأقبل إليها العلماء والفقهاء والمحدثون والصالحون. وكانت مركزاً علمياً للحنابلة والمحدثين، وسميت بالصالحية نسبة إلى مؤسسيها الصالحين المقادسة، من بني قامة. كتب عنها ابن طولون كتاباً سماه: القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دمشق، 1980، ص ص42–43، ابن طولون: "ضرب الغوطة على جميع الحوطة"، ص158.

(102) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 66، يقع بالشاغور عدة مساجد وزاويا، منها: مسجد عبدالملك ومسجد العناية وجامع المزاز والزاوية الحصينة: انظر: الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص 156، 259، 325.

(103) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 92 –93.

(104) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 238.

(105) الدارس في تاريخ المدارس، ج 2 ص، 326، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 66، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 94.

(106) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 293.

(107) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 212، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 167.

(108) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص102.

(109) جوانب اجتماعية من تاريخ دمشق في القرن الخامس عشر من مخطوطة أحمد بن أحمد بن طوق، المؤتمر الدولي، ص 407.

(110) مدن الشام في العصر المملوكي، ص 258.

(111) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم1، ص194، 102، 196، 260، 225، 219، 214، 204، 283–261، 295.

(112) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 260 – 261، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 168.

(113) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 268، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 174.

(114) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص 194.

(115) الدوادار: اسم مركب من كلمتين دواة ودار ويكون معناه ماسك الدواة وهو منصب في الدولة المملوكية يحمل صاحبه المدواة للسلطان، ويقوم بإبلاغ أوامره لأصحاب العلاقة، وتسمى وظيفة الدودارية الكبرى كما أطلق اللقب على كاتب السر أو صاحب القلم. العراك بين العثمانيين والمماليك، ص 50 هامش 67.

(116) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 175، ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج 1، ص ص169، 204.

(117) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 283.

(118) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 195.

(119) تولى نيابة حلب سنة 910–911هـ1504–1505م ثم عزل بالنائب سيباي، ثم أعيد إليها سنة 916–923هـ /1510–1517م الشلي، فيصل: **بلاد الشام في ظل الدولة المملوكية الثانية** (دولة الجراكسة البرجية).

(120) تولى عدة نيابات هي: نيابة حماة سنة 901هـ/ 1495م، وطرابلس سنة 902هـ / 1496 ونيابة حلب سنة 906هـ/ 1500م و910هـ / 1504، ونيابة دمشق 910–911هـ/ 1504–1505م، بلاد الشام في ظل الدولة المملوكية الثانية (دولة الجراكسة البرجية) 1381–1517م.

(121) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص169.

(122) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 295.

(123) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 316، 330.

(124) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص79.

(125) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 238.

(126) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 159.

(127) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص 7.

(128) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1 ص121.

(129) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص102.

(130) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص102.

(131) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 137–138، الميدان الأخضر، يقع إلى الغرب من دمشق بين نهري بردى وبانياس، العراك بين العثمانيين والمماليك، ص156، هامش 249.

(132) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص245، ج2، ص232، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص159–160.

(133) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ص174، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج2، ص268.

(134) هو السلطان الأشرف قايتباي الجركسي المحمودي حكم ما يقارب ثلاثين عاماً، انظر: العيدروس، عبدالقادر بن عبدالله: **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، حققه: أحمد حالو، ومحمد الأرناؤوط وأكرم البوشي، ط1، بيروت: دار صادر، 2001م، ص36–37؛ مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 66، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 94.

(135) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، قسم 1، ص 153.

(136) ابن المزلق: هو الخواجا شمس الدين بن المزلق، من كبار التجار في دمشق. الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص113، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج7 ص363.

(137) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 180.

(138) عين والياً على الصالحية مرتين، انظر: **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية**، قسم 1، ص378.

(139) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 182.

(140) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 108.

(141) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 111.

(142) هو السلطان جان بلاط بن عبد الملك الأشرف أبو النصر اشتراه بشتك الدوادار، وقدمه للأشرف قايتباي بعد طلبه له، فجعله خاصكيا، وقربه إليه، وعلمه القرآن والحساب، والرمي، وصار رئيساً محتشماً، ثم رقاه أستاذه حتى أعطاه تقدمة ألف، ثم ولي الدوادارية الكبرى في زمن ولده الناصر، ثم أنعم عليه بنيابة حلب، وأقام بها سنة، ثم نقله إلى نيابة الشام، وأقام بها سبعة أشهر. ولي السلطنة سنة 905هـ/ 1499م، ثم خرج عليه قصروه نائب الشام، فأرسل إليه عسكراً مقدمهم الدوادار الكبير، وأمير سلاح العادل طومان باي، فاتفقا عليه، ، فعزل بطومان باي سنة 906هـ / 1500م، الذي سجنه ثم قتله خنقاً. الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ج1، ص180.

(143) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 250 – 251، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 162.

(144) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 250 – 251.

(145) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 162.

(146) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 162.

(147) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 162.

(148) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص27.

(149) هو أحمد بن محمود بن عبدالله الفرفور، شهاب الدين، أبو العباس الشهير بابن الفرفور، الدمشقي الشافعي، كان جامعاً بين العلم والرئاسة والكرم وحسن العشرة، ولي قضاء القضاة الشافعية، بدمشق، ثم جمع له بينه وبين قضاء مصر، وفوض له أن يستنيب في قضاء دمشق من يختار. توفي سنة 911هـ/ 1505م الغزي، الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ج1، ص141–145.

(150) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص 27 – 28.

(151) مرج دابق مرج واسع يقع شمالي حلب بجوار قرية دابق اشتهر بالمعركة الفاصلة بين السلطان سليم العثماني والسلطان المملوكي قانصوه الغوري؛ حيث انتهت المعركة بقتل قانصوه الغوري سنة 922هـ/ 1517م وسقوط بلاد الشام في يد العثمانيين، العراك بين العثمانيين والمماليك، ص88، هامش150.

(152) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص 42.

(153) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم1، ص 196.

(154) التوسيط: شكل من أشكال الإعدام في العصر المملوكي، وطريقته أن يعري الشخص من الثياب ثم يشد إلى خشبة مطروحة على الأرض؛ يضرب بالسيف تحت صرته بقوة ضربة تقسم جسمه نصفين فتنهار أمعاؤه في الأرض، دهمان، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، 1990م، ص 48.

(155) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 196.

(156) الخازندار: المشرف على خزائن السلطان وما تحتويه من مال ومتاع. دهمان: العراك بين العثمانيين والمماليك، ص50، هامش66.

(157) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم1، ص304.

(158) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 203، 205، وجعلها في سنة 905هـ، انظر قسم 1، ص 219.

(159) الشنكلة: من طرق تنفيذ حكم الإعدام، يعلق فيها المحكوم بكلاليب معقوفة من تحت إبطيه وينزف حتى يموت، دهمان: العراك بين العثمانيين والمماليك، 60 هامش89.

(160) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص213–214.

(161) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 159.

(162) هو الأمير تمرباي القجماسي المشهور بأبي قورة، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 167، ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 259.

(163) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 210 – 261، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 168.

(164) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 287، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام، ص 187.

(165) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 331 – 332

(166) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام، ص 219.

(167) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام، ص 108، 168.

(168) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام، ص 162.

(169) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام، ص 174.

(170) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج 1، ص 238.

(171) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 201.

(172) نصار، أندريه: "العامة بدمشق المملوكية"، **رسالة دبلوم**، إشراف: د. أنطوان ضومط، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب، الفنار، 1997م، ص 320.

(173) البصروي، علي بن يوسف الدمشقي: **تاريخ البصروي**، تحقيق: أكرم العلبي، دمشق: دار المأمون للتراث، 1988، ص179.

(174) أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 157.

(175) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص 247.

(176) أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 249.

(177) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص ص 275، 289، 316، 342 – 343، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص171 ص، 178، 205، 208، 222.

(178) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص ص 41، 44 – 45، 119، 231، 292.

(179) جوانب من الحياة الاجتماعية في دمشق المملوكية، ص 24.

(180) المقريزي، تقي الدين أحمد: **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ج3، ق 3، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1934 – 1936م، ص 1145، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص 108، 209، 291.

(181) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، 287، 374، إعلام الورى بمن ولي من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 187، العامة، ص 326.

(182) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص ص 132، 167، 158، 199، 222، إعلام الورى بمن ولي من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص ص 79، 119، 99، 209، 187.

(183) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص180.

(184) سميت بالقبيبات نسبة إلى سقوفها التي بنيت على شكل قباب صغيرة، مدينة دمشق، ص185.

(185) كفر سوسيا: بلدة تقع جنوب غرب دمشق تحت المزة بها جامع وحمام ومعصرة للزيت لكثرة زيتونها. ضرب الحوطة على جميع الغوطة، ص159، هامش 64، ص341.

(186) القابون: قرية كبيرة من قرى الغوطة: تحت برزة، وهي تقسم إلى قسمين، قرية القابون الفوقاني وقرية القابون التحتاني، ضرب الحوطة على جميع الغوطة، ص160.

(187) برزة: قرية تقع شرقي الصالحية، ضرب الحوطة على جميع الغوطة، ص155.

(188) حرستا: وتشمل قرية حرستا الزيتون، وهي قرية كبيرة فيها إقطاع نائب دمشق وقرية حرستا القنطرة شرقي دمشق، وهي من قرى المرج، ضرب الحوطة على جميع الغوطة، ص156، انظر تعليق المحقق، هامش26، ص247.

(189) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص 102.

(190) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص250 – 251.

(191) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1 ص280 – 283، إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 183 – 184.

(192) السويقة: إحدى ضواحي دمشق، تقع إلى الجنوب الغربي على الطريق الذاهبة إلى عكا وصور ومصر ودعيت بالسويقة لاتساع أسواقها وإقبال الناس عليها، وانتشرت فيها الخانات التجارية الضرورية لنزول القوافل. مدينة دمشق، ص 179.

(193) جوانب اجتماعية من مدينة دمشق، ص 407 – 408.

(194) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ق1 ص183–184، 204؛ إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام، ص 408 – 409.

(195) أورد ابن طولون في كتابه: الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، جميع مؤلفاته بمختلف أنواع العلوم، وقد رتبها على حروف الهجاء. انظر هذه المؤلفات ص71–142، وقد وضع المحقق: محمد خير رمضان ملحقاً بقائمة المؤلفات الأخرى، التي لم يوردها ابن طولون في كتابه: الفلك المشحون في أحوال ابن طولون، ص143–148.

(196) ولي السلطنة وهو السلطان الأشرف قانصوه خمسمائة، لقب بالخمسمائة؛ لأنه ابتيع بخمسمائة دينار. تولى السلطنة ستة أيام، ثم خرج إلى غزة فاشتبك مع الدوادار اقبردي وحاصره بخان يونس؛ فهزم السلطان قانصوه خمسمائة وقيل إنه قتل سنة 904هـ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص141.

(197) ابن طولون: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 1998، ص107.

(198) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص 195.

(199) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص 234.

(200) بنو لام: هم من قبيلة طيئ ومنازلهم في المدينة إلى الجبلين، وهم داخلون في إمرة آل ربيعة من عرب الشام. انظر القلقشندي، أحمد بن علي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، د.ت، ص396، البطوش، آمنة: القبائل العربية في السياسة المملوكية، الأردن، عمان: وزارة الثقافة، ص246.

(201) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص234.

(202) العشير: اسم يطلق على بدو الشام والدروز، وعشير الشام فرقتان، هما: القيسية واليمنية، وكانوا كثيري الثورات ضد المماليك، انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج9، ص115، القبائل العربية في السياسة المملوكية، ص247.

(203) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص 175

(204) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص 207، 205.

(205) إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام، ص ص 174،162، دمشق أقدم مدينة في التاريخ، http://www.discover-syria.com/news/728

(206) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص66.

(207) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 105.

(208) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص115، 126، 127، 132.

(209) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 134.

(210) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص161.

(211) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص174.

(212) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص240.

(213) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص281.

(214) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم1 ص 310.

(215) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص314.

(216) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص ص344، 350.

(217) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص374.

(218) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص ص389، 390.

(219) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص ص 21-62.

(220) اشتهرت دمشق بأسواقها التجارية المتنوعة التي أفاضت المصادر في الإشارة إليها، ومنها

سوق: السلاح، سوق الصالحية، سوق الصفارين، الصناديق، الصوف، الطير، العجم، سوق القمح، سوق القناديل، سوق اللؤلؤ، سوق النائب، النحاسين، الورق، دار البطيخ، الخليين، الذراع، ساروجا، السرجين، الشعير، العلبيين، عمارة، سوق الغزل العتيق، الغنم، القشاشين، القطن، الفوقاني، الهواء، البزورية، الحريميين، الجبن، الخيل – الدهشة، برا، الإكافين، الريحان. . .إلخ. الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص 13، 91، 94، 119، 132، 165، ج2: 178، 261، 252، 317، 307، 178.

(221) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص ص 66، 112، 104.

(222) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 126 – 132، 127، 161.

(223) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 132، 174، 240.

(224) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 255.

(225) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص206.

(226) دمر: من ضواحي دمشق الغربية مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، حاشية 2، ص181.

(227) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص ص251، 255، 314.

(228) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 350، قسم 2، ص 98.

(229) أنشأها الشيخ زين الدين عبدالرحمن ابن الشيخ أبي بكر بن داود القادري الصوفي الصالحي ت سنة 856هـ/ 1452م، وتقع بسفح جبل قاسيون تحت كهف جبريل، وذكر النعيمي أن هذه الزاوية الداودية تنسب لوالد الشيخ زين الدين، وهي زاوية لا مثيل لها بدمشق. الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص158.

(230) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 310، 344، 374، 390.

(231) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 389.

(232) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم2، ص 62.

(233) محلة قبر عاتكة: نسبة إلى عاتكة بنت يزيد بن معاوية، كانت قرية خارج باب الجابية وفيها قصر لعاتكة، ابن طولون، ضرب الحوطة على جميع الغوطة، ص347.

(234) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص 97.

(235) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص 98.

(236) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص 99.

(237) جامع تنكز: يقع خارج سور دمشق، القلائد الجوهرية في أخبار الصالحية، قسم 2، ص348

(238) جامع يلبغا: يقع خارج سور دمشق، القلائد الجوهرية في أخبار الصالحية، قسم 2، ص348.

(239) جامع جراح: يقع مقابل الباب الصغير، القلائد الجوهرية في اخبار الصالحية، قسم 2، ص 152، 247 173.

(240) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 2، ص 100.

(241) جلال، حسن: **مصر في عيون ابن بطوطة**، 2013، http://elbadil.com/2013/02/27/114221

(242) سميت بوقعة الخمسمائة وبوقعة شقحب وبوقعة الناصري ومنطاش، وكانت هذه الفتنة سنة 790 / 1388م، انطلقت من شمال بلاد الشام وتزعمها تمربغا الأفضلي الأشرفي المدعو منطاش نائب ملطية وحليفه يلبغا الناصري نائب حلب (وكان يلبغا قد تولى نيابة حلب لأول مرة سنة 784هـ/ 1382م ثم ولي حلب ثانية سنة 789هـ/ 1387م، وأعيد إليها للمرة الثالثة سنة 790هـ/ 1388م، ثم خرج عن الطاعة سنة 791هـ/ 1388م)، وزحف هؤلاء الأمراء بجيوشهم المكونة من التركمان والعربان بزعامة نعير، إلى دمشق وكان ألطنبغا الجوباني نائب الشام قد خرج عن الطاعة أيضاً وقبض عليه وسجن بالإسكندرية، فتولى نيابة الشام عوضاً عنه الأمير طرنطاي الذي كان حاجب الحجاب بدمشق، وعلى الرغم من هذه الإجراءات فقد سيطر الثوار على دمشق، ثم اتجهوا إلى القاهرة سنة 791هـ/ 1388م؛ فهرب السلطان برقوق من القلعة؛ ثم قبض عليه ونفي إلى الكرك، وتمكن الثوار من إعادة السلطان المعزول أمير حاجي ابن الأشرف، حفيد الناصر محمد بن قلاوون (791– 792هـ / 1388–1389 م) إلى الحكم، ثم وقع النزاع بين الأمير يلبغا الناصري والأمير منطاش؛ مما فتح المجال للسلطان المعزول برقوق إلى استرداد حكمه فهرب من سجنه بالكرك وجمع جيشاً من الشام وأنزل هزيمة بأعدائه عند مدينة صرخد سنة 792هـ/ 1389م، ثم دخل القاهرة منتصراً ورحب به الأهالي وأحسنوا استقباله، انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11 ص 275. ابن حجر، أحمد العسقلاني، علي: **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، د.ط، ج8، مطبعة القاهرة، ص 365، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص 634– 635.

(243) ملطية: مدينة تقع وسط تركيا على نهر الفرات، العراك بين العثمانيين والمماليك، ص47، هامش 59.

(244) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص335–339.

(245) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج11، ص 347، ج12، ص84.

(246) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ج1، ص 14– 15، ذكر العيني في حوادث سنة 699هـ/ 1299م، أن الحرافشة عاثت في دمشق بعد انهزام الجيش ودخول التتار دمشق، يقول: "وعاثت الحرافشة في ظاهر البلد، فكسروا أبواب البساتين، وخلعوا من الأبواب والشبابيك وغير ذلك ما قدروا عليه، وباعوه بأرخص الثمن، هذا وسلطان التتار قد قصد ورود دمشق بعد الوقعة". بدر الدين العيني: **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (عصر سلاطين المماليك حوادث وتراجم 699–707هـ / 1299–1307م)**، حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين، ج4، الهيئة المصرية، 1992م، ص29.

(247) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 114.

(248) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 207.

(249) إعلام الورى بمن ولي من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 277.

(250) هو عبد الوهاب بن أحمد بن محمد قاضي قضاة الحنفية بدمشق، تاج الدين ابن الشيخ، الشهير بابن عرب شاه: الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ج1 ص131.

(251) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 14 – 15.

(252) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، 114.

(253) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 114.

(254) قتله السلطان سليم العثماني سنة 921هـ/ 1515م، الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ج1.

(255) مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، قسم 1، ص 207.

(256) هو السلطان الأشرف قانصوه بن عبد الله الجركسي، المشهور بالغوري، وسماه ابن طولون جندب، وجعل قانصوه لقباً له. قال: والغوري نسبة إلى طبقة الغور، قال ابن الحنبلي: إحدى الطبقات التي كانت بمصر مدة لتعليم المؤدبين. الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ج1، ص185.

(257) إعلام الورى بمن ولي من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، ص 277، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص157.

مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت
تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

رئيس التحرير الأستاذ الدكتور: **وليد خالد الربيع**

صدر العدد الأول في رجب ١٤٠٤هـ - أبريل ١٩٨٤م

* تهدف إلى معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.
* تشمل موضوعاتها معظم علوم الشريعة الإسلامية: من تفسير، وحديث، وفقه، واقتصاد وتربية إسلامية، إلى غير ذلك من تقارير عن المؤتمرات، ومراجعة كتب شرعية معاصرة، وفتاوي شرعية، وتعليقات على قضايا علمية.
* تنوع الباحثون فيها، فكانوا من أعضاء هيئة التدريس في مختلف الجامعات والكليات الإسلامية على رقعة العالمين: العربي والإسلامي.
* تخضع البحوث المقدمة للمجلة إلى عملية فحص وتحكيم حسب الضوابط التي التزمت بها المجلة، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين في الشريعة الإسلامية، بهدف الارتقاء بالبحث العلمي الإسلامي الذي يخدم الأمة، ويعمل على رفعة شأنها، نسأل المولى عز وجل مزيداً من التقدم والازدهار.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

ص.ب ١٧٤٣٣ - الرمز البريدي: 72455 الخالدية - الكويت هاتف: ٢٤٨١٢٥٠٤ - ٢٤٩٨٤٧٢٣ - ٢٤٩٨٨٠٩٥
فاكس: ٢٤٨١٠٤٣٤

العنوان الإلكتروني: E-mail - jsis@ku.edu.kw

issn: 1029 - 8908

عنوان المجلة على شبكة الإنترنت: http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/JSIS

اعتماد المجلة في قاعدة بيانات اليونسكو Social and Human Sciences Documentation Center

في شبكة الإنترنت تحت الموقع www.unesco.org/general/eng/infoserv/db/dare.html